المقتطف

الجزء السادس من المجلد الرابع والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٢ جماد اول سنة ١٣٢٧

السلطان عبد الحميد

في مثل هذا اليوم من العام الماضي لم تكن ترى كاتبًا واحدًا يخطّئ سياسة السلطان عبد الحميد ويندّد باعمالهِ حتى ترى مئة كاتب يصوّبون سياستهُ ويتغنون بمدحهِ ويقولون انهُ مجمع الفضائل وآية الحكمة والعدل. حتى ان اكثر الخطب التي تليت في بلاد الشام ونشرناها في المقتطف كانت مفتتحة ومختتمة بترتيل آيات الحمد لهُ والدعاء بتأييد شوكتهِ الى آخر الدوران فكنا نحذف ذلك منها لاننا لا نجد لهُ محلًّا في الخطب العلميَّة او الادبية وقلما كنا ننجو من لوم اصحابها. ولو جُمعت القصائد التي نظمت في اطرائهِ والكتب والفصول التي كتبت في تعداد مناقبهِ لملأَت مئات من المجلدات. وقد انقلبت الحال الآن ايَّ انقلاب فترى من المئة الذين كانوا يمدحونهُ ويمجدونهُ تسعةً وتسعين يجاهرون بذمهِ ويقولون انهُ كان طاغية سفاحًا خرب البلاد وسلب العباد حتى لقد قال فيهِ اكبر مادحيهِ بالامس

مشبع الحوت من لحوم البرايا   ومجيع الجنود تحت البنودِ

واكثرهم اعتدالاً في لومهِ اليوم هم الذين كانوا يندّدون بسياستهِ بالامس

ولا يحسن بالمرء ان يقف لدي هذا الحادث الجلَل وهو قيام السلطان عبد الحميد وسقوطهُ الَّا وينظر اليهِ نظر المؤرخ الذي يتوخَّى ذكر الحقائق خالصة من شوائب التحامُل والتملُّق عساهُ يجد فيها عبرة وذكرى

يرى الباحث الاجتماعي امرًا لا يخفى على احد وهو ان الممالك التابعة للعرش العثماني كانت في سالف عهدها ارقى منها الآن وان الانحطاط تولَّاها منذ الفي سنة ثم جعلت تعلو وتسفل اونةً بعد اخرى واتجاهها الى الانحطاط اكثر منهُ الى الارتقاء كموج البحر وقت

جزرهِ حتى اذا كان القرنان الاخيران اللذان ارتقت فيهما ممالك اوربا ارتقاء لا مثيل لهُ في عصور التاريخ السالفة ظهر الفرق الشاسع بيننا وبينها على اتمهِ . ولهذا الانحطاط اسباب كثيرة قد تتعذَّر معرفتها كلها وليس من غرضنا البحث فيها الآن ولكن لا شبهة في انها ليست مرتبطة بطبيعة البلاد ولا باحوال سكانها الجسدية والعقلية . ويقيننا انهُ يسهل عليهم بلوغ اعلى مراتب الامم الاوربية اذا سعوا الى ذلك في طريقهِ وزالت الحوائل التي تحول دونهُ واخذوا باسباب العمران كما اخذ بها غيرهم من سكان المشرق والمغرب وهي على ابوابهم ميسورة لهم كما هي ميسورة لسواهم . فالشاب العثماني يستطيع ان يصير طبيباً او قاضياً او تاجرًا او مهندساً اوقائدًا كما يستطيع ذلك الشاب الانكليزي او الفرنسوي او الالماني . والفلاَّح العثماني يتقن حرثهُ وزرعهُ مثل الفلاح الفرنسوي ويقتصد في نفقاتهِ مثلهُ او اكثر

ولا شبهة ان البلاد ارتقت بعض الارتقاء في العهد الاخير عهد السلطان عبد الحميد واكثر الفضل في ذلك للرسالات الدينيَّة الاميركية والانكليزيَّة والفرنسوية وللتجار الذين اقاموا في بلادنا ولاتصالنا بالاوربيين واتصال الاوربيين بنا

ولسنا ممَّن يجرد حكم السلطان عبد الحميد من كل مزية نافعة فقد كانت لهُ مزايا كثيرة ولا سيما في اوائلهِ وقد راق لنا حينئذٍ ما كتبهُ الاستاذ فمبيري المجري في هذا الموضوع منذ تسع عشرة سنة فترجمناهُ ونشرناهُ في صدر الجزء الحادي عشر من المجلد الرابع عشر من المقتطف وكان السلطان قد استدعاهُ اليهِ واطعمهُ على مائدتهِ واغدق عليهِ نعمهُ فقال

“ ان جلالتهُ لا يترك واسطةً لملاطفة ضيوفهِ وبسطهم الَّا اجراها فقد قدَّموا لي على مائدتهِ يوماً صحفةً من الفروله (الفريز) مرتبةً في خطوط وصفوف بحسب الوانها وعلى وجه الصحفة رقعة كُتب فيها هذا من الاثمار التي ربَّاها جلالتهُ بيدهِ . وقدَّموا لي مرةً تفاحةً وخوخةً من اشهى ما رأتهُ عيني وحنى جلالتهُ رأسهُ اشارة الى تكرمهِ بهما خصوصاً . ولما دُعيت آخر ليلة على مائدتهِ شجاني سماع الالحان المجرية تصدح بها الموسيقى السلطانية في قاعة مجاورة فالتفتُّ نحوها واذا خادم واقف بجانبي فحياني وقال لي ان جلالة مولاي السلطان ارسلني لابلغك ان الموسيقى السلطانية تعلَّمت اللحن المجري الوطني بأمر خصوصي لتسمعك اياهُ هذه الليلة ”

وقال في اوصافهِ الشخصية انهُ ” يقضي يومهُ من الصبح باكرًا الى ان يتناهى المساءُ مهتمًّا بقضاء اشغال الدولة ومهام السلطنة ناظرًا في كل قضية مهمة وغير مهمة مستوعبًا كل تفاصيلها حتى يكاد يضني صحتهُ ويعاوق سير الحكومة . وقد دخلت عليهِ يوماً فوجدتهُ جالساً على

ديوانهِ وعن يمينهِ عدد عديد من الجرائد التركية وترجمات من الجرائد الاجنبية متراكمة بجانبهِ كوماً عالياً وعن يسارهِ ما يضاهيها من اوراق الحكومة المعروضة على جلالتهِ لمراجعتها والتوقيع عليها . وكان وهو يحدثني ينظر من طرْف خفي يمنةً ويسرةً طوعاً لما يتردَّد في نفسهِ من حب الرجوع الى مطالعتهِ . ولا يخفى ان الدولة التي يجهد سلطانها نفسهُ كل هذا الجهد في قضاء مهامها يضيق نطاق سلطة وزرائها . ويندر وجود سلطان مثلهُ يقضي مع وزير ماليتهِ الساعات الطوال وهو مكبٌّ على مراجعة حسابات السلطنة وتنقيح دفاترها وامعان النظر في تفاصيلها واجهاد القريحة في استنباط التدبير والاحتياط اللازم للاقتصاد "

وقال مدافعاً عمَّا كان يأتيهِ من الاستبداد في حكمهِ " لا ارى اسدَّ من كلامهِ حيث قال لي يوماً ان اوربا قد عزقت ارضها ومهَّدت تربتها اعواماً وعصوراً حتى جاءَت بما نراهُ فيها من مصادر الحرية والمنشئات الحرَّة والآن تطلبون اليَّ ان اقلع فسيلة من منابت الحرية التي فيها واغرسها في اراضي اسيا الوعرة البائرة القاحلة . دعوني اتعهَّد هذه الاراضي قبلاً بما يحسّنها فاقتلع اشواكها وارفع احجارها وافلح تربتها واحفر الاقنية لاروائها ثم انقل تلك الفسيلة اليها واكون اوَّل من يطيب نفساً ويقرُّ عيناً بنمائها ونضارتها "

ونفى عنهُ استخدام الجواسيس وقال " ان كل ما سمعهُ من هذا القبيل اختلاق او مبالغة وغلو واصل تلك الاقوال كلها ان رجالاً من اهل البلاط يستخدمون الجواسيس سرًّا ويرصدون العيون خفيةً لاجراء دسائسهم ومكايدهم الشريرة وتنفيذ مآربهم الفاسدة وجلالتهُ عالم بمكرهم ودهائهم ولكن كشف حيلهم واظهار دسائهم ومكايدهم ليس بالامر السهل عليهِ كما يتوهم الاوربيون في بلادهم "

هذا ما كتبهُ الاستاذ فمبيري منذ نحو عشرين سنة وهو يعلم انهُ سيترجم للسلطان عبد الحميد فيطَّلع عليهِ ويجزيهِ على مدحهِ احسن جزاءٍ . وقد قال في صدر مقالتهِ ان الناس في البلدان الشرقية على دين ملوكهم فانظر الى الملك تعرف رعيتهُ . وحقهُ ان يقول ايضاً انظر الى الرعية تعرف ملكها وانظر الى المقرَّبين تعرف الملك الذي قرَّبهم اليهِ

ومقالة فمبيري مع ما فيها من المدح وكثير منهُ كان في محلهِ لا تخلو من الاشارة الى الاسباب التي كان لها اليد الطولى في افساد السلطنة كما رأيت في ما تقدَّم فان كثرة اشتغال الحاكم بالمسائل الهامة وغير الهامة تضني جسمهُ وتضعف عقلهُ وتفسد احكامهُ وتقيد وزراءهُ وتبطل نفعهم . ولا يبعد ان كثرة اشتغال السلطان عبد الحميد اورثتهُ خللاً عقلياً وهو ايجاس الشر والخوف المستمر من كيد المكايد لهُ ان لم يكن ذلك خلقاً

قديمًا فيهِ فاستعان بالجواسيس على كشف المكايد الموهومة واستحلَّ كل شيء للنجاة منها · وعرف الدهاة منهُ ذلك فتقربوا اليهِ بكل ما يزيد وساوسهُ ويؤثر في نفسهِ استدرارًا لنعمهِ فاضطرَّ ان يكثر موارد امواله ليستطيع استرضاءهم ورأى غيرهم منهُ ذلك فساعدوهُ على جمع الاموال واقتناء الاملاك بكل وسيلة فبلغ الفساد في السلطنة مبلغًا لا نظير لهُ حتى ان مختار باشا الغازي كان يقول لنا حينما يطلب منا الكف عن انتقاد معايب الحكومة العثمانية انكم لا تعلمون منها عشر ما اعلمهُ انا ولكنني اؤكد لكم ان الانتقاد يضرُّ بكم ولا ينفع احدًا

وعاد الاستاذ فمبيري فعرف خطأهُ وارعوى ورأى عيوب الحكم الحميدي كما رآها غيرهُ وهو يرجو الاصلاح الآن لتركيا بهمة رجالها الدستوريين كما يرجوهُ غيرهُ من المخلصين لها

وتمكنت الوساوس من عبد الحميد حتى صار يعتقد ان الناس كلهم يأتمرون عليهِ ويقصدون الايقاع بهِ فلم يعد يهنأ لهُ عيش الاَّ بتجسس اخبارهم وصار آلة في ايدي المحتالين يوهمونهُ بتألُّب الجماهير على الفتك بهِ وانهم هم وحدهم القادرون على كفّ شرهم عنهُ فذلك وحرصهُ على كثرة المقتنيات وحرص المقرَّبين منهُ على تملُّقهِ وظلم الناس باسمهِ وجشع بعض الافَّاقين من رعيتهِ ومن غير رعيتهِ كل ذلك ولَّد في السلطنة العثمانية حالة لا تطاق فهجرها الذي استطاعوا المهاجرة وصبر على الضيم الذين الفوهُ من احرار النفوس واشترك غيرهم في الفساد الذي عمَّ وطم الى ان تمكنت جمعية الاتحاد والترقي من اعلان الدستور فتظاهر اولاً ان ذلك كان برضاهُ وهو غاية ما يتمناهُ ثم دس لها الدسائس وشاركهُ اعوانهُ حتى كاد يوقع بها ولو صبغ السلطنة بالدماء لكنها تمكنت من خلعهِ وتنصيب اخيهِ بدلاً منهُ كما هو معلوم

والسلطان عبد الحميد هو الرابع والثلاثون من سلاطين آل عثمان والثامن والعشرون منهم في القسطنطينية ولد في ٢٢ سبتمبر سنة ١٢٤٢ وابوهُ السلطان عبد المجيد وامهُ مربية ارمنية والصفات الارمنية ظاهرة فيهِ خَلقًا وخُلقًا · وتوفيت امهُ بمرض الصدر وعمرهُ سبع سنوات وأُصيب هو بهِ في صغرهِ لكنهُ شفي منهُ وكان في حداثتهِ ضعيف البنية قليل الرغبة في العلم · واولاد السلاطين يعلَّمون مع التركية والفارسية لغة اجنبية اما هو فكان يكره تعلُّم اللغات وغاية ما حفظهُ منها قليل من الفرنسوية تعلمهُ من فتاة بلجيكية · وربي تربية لا تثقف العقل ولا تهذب الاخلاق ولا تدمث الطباع · وزار اوربا مع عمهِ السلطان عبد العزيز ويقول الاستاذ فمبيري ان صور مدنها ومشاهدها انطبعت في ذاكرتهِ ويقول المستر منرو

انهُ لم يستفد من هذه الزيارة شيئًا فبقي على كرههِ للاوربيين

وقد ألَّف جورج دورِس بن ادوسيدس باشا والي كريت كتابًا في السلطان عبد الحميد طُبع منذ نحو ثماني سنوات وصفهُ فيهِ في حداثتهِ وصفًا يفسّر ما صار اليهِ في كهولتهِ . ويظهر مما ذكرهُ في كتابهِ انهُ عاش حول يلديز وكان لهُ فرَص غير عادية للوقوف على احوال السلطان واعمالهِ فعرفها معرفة مَن يراها عن قرب ويعلم سوابقها ولواحقها وما ترمي اليهِ وقد قال في كتابهِ ان السلطان عبد الحميد لم يهتم قط باصلاح بلادهِ بل فعل كل في طاقتهِ لخرابها منذ خمس وعشرين سنة الى الآن فخنق جرثومة الحرية التي كان يمكن ان تحيي البلاد وقطع عنق استقلالها وهو في مهدهِ فحصر السلطة في يدهِ بالحيلة واودى بكل مَن اوجس منهُ المخالفة لهُ وشلَّ اعصاب حب الوطن وكمَّ فم الصدق وقيَّد استقلال الفكر والضمير وذبح الالوف من رعاياهُ ولم يهتم الاَّ بتعزيز عرشهِ مهما كلَّف البلاد فاستخدم في سبيل ذلك الصنيعة والجاسوسية والجهل والجور والرشوة والصرامة وما بين الرجال من الضغائن والاحقاد

وكتاب دورس مشحون بمثل هذه المذام وقد حُكم عليهِ بالاعدام بسببهِ فهرب الى باريس ولم تشإِ الحكومة الفرنسويَّة ان تسلّمهُ للحكومة العثمانية . الاَّ ان غيرهُ من الكتَّاب لم يوافقوهُ على كل ما كتب فالاستاذ ادون غرڤنور الاميركي وقد كان من اساتذة مدرسة روبرت الاميركية في الاستانة وصفهُ منذ خمس عشرة سنة وصفًا لا يوصف بهِ الاَّ اعاظم الملوك واعدلهم فقال انهُ كريم جوَّاد يهتم بخير رعيتهِ وليس بين الملوك من يجاريهِ في الجود على ذوي البأساء . لكنهُ ذكر في عرض ذلك ما يحسب مصدرًا لسوء الاحكام وهو اهتمامهُ بالصغائر كما تقدَّم فقال انهُ يهتم اشد الاهتمام بكل مسأَلة مهما كانت طفيفة

وكذلك ده سوهسمس اليوناني تغنَّى بمدحهِ وقال انهُ سائر في خطة محمَّد الفاتح وسليمان القانوني وقد عضد العلوم والفنون وهو وديع انيس كريم مستنير ذكي الفؤَاد عالي الهمة كثير الاشتغال بمهام السلطنة سديد الاحكام فيها

وقال صموئيل كوكس سفير اميركا في تركيا انهُ ملك بكل معاني الكلمة ويستحق اعظم مدح على ما يبديهِ من المقدرة في سياسة بلادهِ والتوفيق بين شعوبها المختلفي الاجناس والمذاهب

وقد كتب هذا السفير ذلك منذ ١٧ سنة . والظاهر ان اكثر الذين كتبوا عن السلطان عبد الحميد قبل المذابح الارمنية كانوا ميَّالين الى مدحهِ واطراءِ سياستهِ ولو ذكروا عرَضًا كثرة اشتغالهِ واهتمامهِ بالمسائل الطفيفة . ويظهر من ذلك ان الاعمال الظاهرة

التي عملها في النصف الاول من سني ملكهِ كان اكثرها مما يمدح عليهِ وان الاعمال المذمومة التي حملهُ عليها خوفهُ على نفسهِ كقتلهِ لمدحت باشا كان يفعلها خفية ثم زاد خوفهُ على نفسهِ وايجاسهُ الشر فاكثر من استخدام الجواسيس وصار وسواسهُ هذا يزيدهُ اقداماً على الفتك بالذين يخاف منهم والفتك بهم يزيدهُ خوفاً ووسواساً · مرضٌ عصبي استولى عليهِ وزادهُ المقربون منهُ مرضاً بحيلهم ووشاياتهم واكاذيبهم · ولقد صدق بتلقيبهم بالخوَنة ولعلهُ كان يعلم دائماً انهم كذلك ولكنهُ كان يخشاهم ولا يستطيع التخلص من استهوائهم · وكيف يستطيع وهو مصاب بالضعف العصبي (Neurasthenia) كما قال احد اطبائهِ وبالارق المزمن وبالخوف من الاغتيال حتى صار يحسب ان الناس لا يأتمرون الاَّ على قتلهِ فيلقون القنابل في طريقهِ ويحفرون الاسراب تحت الارض للوصول اليهِ · وان صحَّ ما روي عنهُ من انهُ قتل ابنة صغيرة من بناتهِ مخافة ان تكون قاصدة اغتيالهُ فذلك وحدهُ كافٍ لتفسير كل اعمالهِ

وما ابتلاؤُهُ بهذا النوع من الجنون باغرب من صبر اعوانهِ عليهِ وتسابقهم الى الانتفاع من وسواسهِ وهم يرون بعيونهم ما حلَّ بالسلطنة ولا يأتمنون على انفسهم يوماً بين يديهِ واذا تيسَّر لاحد منهم الفرار من الاستانة او الخروج منها لم يعد اليها مهما اغري بالمواعيد· وهل انقرض اولئك الاعوان الآن اوَ لا يخشى انهم يتقرَّبون الى السلطان الجديد بمثل ما تقربوا بهِ الى السلطان المخلوع . قرأْنا بالامس خرافة نُشرت في جريدة عربيَّة بمدينة باريس يظهر لقارئها ان كاتبها يقصد ان يتوسَّل بها الى ايهام جلالة السلطان بصحة معرفة الطوالع وصدق الخزعبلات · والاوهام التي من هذا القبيل قد تجوز على عقول العلماء فلا عجب اذا جازت على عقول ملوك المشرق الذين ليس لهم حظ كبير من درس العلوم الطبيعيَّة والبحث عن نقض الخرافات ولذلك لاضمان للامة العثمانية الاَّ اذا تولَّت احكامها وزارة قوية رشيدة من مجلس نواب يضم نخبة رجالها المتعلمين المتنورين

لكنَّ ما نقرأُهُ عن جلالة السلطان محمد الخامس يحقق لنا انهُ يكون سلطاناً دستورياً بحتاً فقد روي انهُ قال لوفد من اعيان مدينة بروسه تقدموا مني فان الرعية يجب ان تكون متصلة بسلطانها غير منحاة عنهُ . وقال لهم ايضاً ان الامَّة تجد السلطان دائماً ولكن السلطان لا يجدها دائماً فاذا سار على هذه الخطة دائماً ولم يقرب الاَّ الاكفاء المخلصين للوطن حقق فيهِ امال رعيتهِ

بلاد الفرس ومستقبلها

حيينا الدستور الفارسي قبلما حيينا الدستور العثماني ولكن قضي على دستور الفرس ان يجتاز النار هو ورجالهُ قبل ان يعود الشاه الى الاعتراف بهِ كما قضي على الدستور العثماني ان يقوم في سبيلهِ فتنة كبيرة تهرق فيها دماء عشرات الالوف من الابرياء قبل ان تكف يد العدوان عنهُ . ولا تزال البلادان حتى كتابة هذه السطور تتمخضان وقد تخرجان فائزتين فينقلب الحق على البطلِ والعدلُ على الظلم والرعية البرية على الرعاة الظالمين . وقد يقضى عليهما فيعود الاستبداد الى سالف عهدهِ

مساحة بلاد الفرس نحو ٦٣٠٠٠٠ ميل مربع اي اكثر من ثلاثة اضعاف فرنسا وستة اضعاف انكلترا . وعدد سكانها غير معروف تماماً ولكنهُ يقدَّر تقديرًا بنحو تسعة ملايين ونصف من النفوس فهي اقل سكانًا من القطر المصري . وايراد حكومتها السنوي نحو مليون وستمئة الف جنيه اي نحو عشر ايراد القطر المصري ومع ذلك لا يزال الشاه يلقب نفسهُ ويلقبهُ رعاياهُ بكل القاب التفخيم والتمجيد الموروثة من العصور الغابرة كشاهنشاه وظل الله وكعبة العالم وينبوع العلم وسراط السماء والسلطان الاعظم الذي علَمهُ الشمس وجنودهُ كالنجوم عدًّا الى غير ذلك من الطنطنات الفارغة التي نودُّ ان يترفَّع جلالتهُ عنها ويعود الى معنى كلمة ملك الحقيقي وهو خادم الرعية لا معبودها

وكانت بلاد الفرس في سالف عهدها من اعظم ممالك المشرق وقام فيها ملوك عظام مثل قورش وكمبيسس وداريوس قادوا الفيالق ودوخوا الممالك وفي جملة ما امتلكوهُ عنوةً القطر المصري كلهُ وذلك منذ الفين وخمس مئة سنة وامتدَّ ملكهم من بلاد الهند شرقًا الى اقصى اسيا غربًا والى جانب كبير من شمالي افريقية . والبلاد التي انجبت مثل قورش ودرايوس في القرون الغابرة وكسرى في القرن السادس وشاه عباس في القرن السابع عشر لا يستغرب ان تصير من الممالك العظيمة لاسيما وان الشعب الفارسي من ارومة الشعوب الاوربيَّة وهو اصل لها في رأي كثيرين من الباحثين في اصل الامم

والارض كثيرة الخيرات شديدة الخصب حيث توجد المياه لريها لكن وسائل الري قليلة ولذلك فالجانب الاكبر منها قاحل . ويزرع في ما يروى منها القمح والشعير وسائر الحبوب والارز والسكر والتبغ والقطن والقوَّة والخشخاش والحناء ويربى فيها دود الحرير وكان يصدر منها من الحرير ما ثمنهُ سبع مئة الف جنيه . ويكثر فيها الكرم والزيتون

واثمارها يضرب المثل بجودتها كالتفاح والاجاص والبندق والجوز والخوخ والدراقن والشمام. ومواشيها كثيرة من البقر والغنم والمعزى والجمال والخيل والبغال وفيها غابات واسعة جداً اكثر اشجارها السنديان

ويصدر منها الحرير والافيون وصمغ الكثيراء والبسط الفارسية وقد بلغت قيمة الصادرات منها سنة ١٩٠٦ نحو خمسة ملايين من الجنيهات وهاك جدول اخصها

القطن	٨١٦١٤٠ جنيهاً	الاثمار	٦٩٨٥٨٠ جنيهاً
الصوف	٣٦٤١٦٠ "	السمك	٧٨٥٦٢٠ "
المنسوجات الصوفية	٧٥٤٠٨٠ "	الصمغ	١٨١٢٦٠ "
شرانق الحرير	٢٧١٥٢٤ "	الافيون	١٠٩٢٠٠ "
الرز	٦١٨٦٢٠ "	الجلود	٢٥٣٧٤٠ "

وشرعوا في زرع الشاي فيها سنة ١٩٠١ فزرع منهُ مليون شجرة واصدروا منهُ سنة ١٩٠٦ ما ثمنهُ ١٨٣٦٠ جنيه ولكن الحوادث الاخيرة كادت تقضي على هذهِ الزراعة

ومعادن البلاد كثيرة فمنها الرصاص والنحاس في كل ولاياتها وفي معدن الرصاص كثير من الفضة. وفيها القصدير والانتيمون والنكل والكوبلت والمنغنيس والحديد والفحم الحجري والملح والكبريت والبترول والفيروز. فالبلاد في حالتها الطبيعية معدَّة للزراعة والصناعة ولاهاليها ذوق خاص في اتقان المصنوعات

وتبلغ قيمة وارداتها الآن نحو ستة ملايين من الجنيهات وقيمة صادراتها نحو خمسة ملايين من الجنيهات كما تقدم وليس على البلاد ديون باهظة. والايرانيون المنتشرون في اقطار المسكونة شرقاً وغرباً من اغنى التجار والصنَّاع فاذا أُصلحت حكومة بلادهم حتى صاروا يفتخرون بها فلا يبعد انهم يساعدونها باموالهم كما يساعد اليونانيون دولتهم. وهم اهل جد ونشاط ويبلغنا أن جمهور الايرانيين مثلهم من هذا القبيل. ولقد ادهشنا من احدهم انهُ كاتب المقتطف من تبريز باحثاً في مسألة علمية رآها فيهِ والمدينة تحت الحصار مهدَّدة بالسيف والجوع. وامة يكون فيها مثل ذلك الرجل واضرابهِ من محبي العلم الذين حظي المقتطف لديهم اكبر حظوة لا يعزُّ عليها ان تصير في مصاف الممالك العظيمة اذا أُحسنت سياستها وان تعود الى سالف مجدها بهمة رجالها. ولكن اذا بقي حكامها على ما هم فيهِ من ارهاق الرعية فقد قسمت البلاد شطرين منذ الآن شطر لروسيا وشطر لانكلترا والله يورث الارض عبادهُ الصالحين

الغزالي

(تابع ما قبلهُ)

آراء الغزالي في العلوم الاسلامية لعهدهِ

بيّنا في ما اسلفنا ان الوسط الذي عاش فيهِ الغزالي كان العظمة والنبوغ فيهِ بالتبريز في علم الفقه والتوحيد والمهارة في الجدل حتى يشهد لهُ الخصوم وتخضع الاقران وكان لعهدهِ فريق اتخذ الفلسفة شعارًا فاضاع في الخوض فيها زمنًا وكان معظمها من الفلسفة اللفظية التي لا تحق حقًّا ولا تبطل باطلاً بل تزيد الفرقة وتقطع الوصلة. وقد قسمت هذه العلوم الثلاثة المسلمين الى فرق شتى يستحِل كل منها المكروه بالاخر. فهاج الفقه والجدل فيهِ هائج العصبية بين الشافعية والحنفية في بلاد العراق حتى كان ذلك في بعض الاحايين داعية الفتن والخروج عن الجادة والالفة الاسلامية . وانما عصم الله المالكية من الخوض في هذه الغمرات لانهم كانوا بعيدين عن دنيا اهل العراق لا يشركونهم في شيء منها وحب الدنيا كما تعلمون رأس كل خطيئة . وكانت بلاد المغرب والاندلس للمالكية خاصة ليس لاحد من غيرهم فيها كبير شأن . وهاج التوحيد والجدل فيهِ عصبية جلّى بين الاشعرية والمعتزلة ثم بين المعتزلة بعضهم مع بعض ثم بين الفلاسفة وجميع هؤلاء وبين الاشعرية والحنابلة ببغداد لما كان لهؤلاء من القول بالتشبيه الذي لا يقول بهِ اتباع الاشعري. وكانت تستعر الفتن بين الفريقين حتى تمسي بغداد منهم على خطر. انبرى الغزالي لتهجين ذلك كلهِ وانهُ ليس مما يوصل الى الله ويطهر القلب ويجعل الانسان انسانًا كاملاً . فقال ان ما يفيد الانسان هو الكلام في جهاد النفس وتحليتها بجميل الاخلاق وتخليتها عن دنس الاخلاق. فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو العلم الحق وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة . ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص او عن التوكل او وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيهِ ولو سألتهُ عن اللعان والظهار لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقض الدهور ولا يحتاج الى شيء منها لا يزال يتعب ليلاً ونهارًا في حفظها ودرسها ويغفل عما هو مهم في نفسهِ في الدين واذا روجع فيهِ قال اشتغلت بهِ لانهُ علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسهِ وعلى غيرهِ في تعلمهِ. والفطن يعلم انهُ لو كان غرضهُ اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليهِ فرض العين بل قدم عليهِ

كثيرًا من فروض الكفايات. فكم من بلد ليس فيهِ طبيب الاَّ من اهل الذمة ثم لا نرى احدًا يشتغل بهِ ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام بهِ جماعة واهمال ما لا قائم بهِ. هل لهذا سبب الاَّ ان الطب ليس يتيسر بهِ الوصول الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة اموال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم بهِ على الاقران والتسلط بهِ على الاعداء

ثم ضرب المتكلمين ضربة هي اشد من هذه وانكى فقال ان حاصل ما يشتمل عليهِ الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليها وما خرج عنهما فهو اما محاولة مذمومة وهي من البدع واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض في ما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منهُ مألوفًا في العصر الاول وكان الخوض فيهِ بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمهُ اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبهًا ورتبوا فيها كلامًا مؤلفًا فصار ذلك المحظور بحكم الضرورة مأذونًا فيهِ بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل بهِ المبتدع اذا قصد الدعوة على البدعة وذلك الى حد محدود. ثم قال ان معرفة الله وصفاتهِ وافعالهِ لا تحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابًا عليهِ ومانعًا منهُ وانما الوصول اليهِ بالمجاهدة

ثم اورد على نفسهِ اعتراضًا وهو كيف تنزّل بهذين العلمين الفقه والتوحيد الى هذا الحد مع ان علماء الامة المشهورين بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين. واجاب عن ذلك بقولهِ اعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهلهُ ان كنت سالكًا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منزلتهم فقد اجمع الذين عرّضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها

بحث الغزالي عن الاسباب التي دعت لشيوع المناظرة والجدل بين الفقهاء والمتكلمين لان الاشياء اذا ظهرت للناس اسبابها وكانت اسبابًا مزرية سهل رجوع الناس عنها فقال لما انتقل امر الخلافة الى من لم يكونوا في انفسهم فقهاء احتاجوا الى من يعينهم من الفقهاء

ليولوهم القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً الى درك العز ونيل الجاه من قبل الولاة فاكبوا على الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات وكان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليهما في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسهُ الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبتهُ الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيهِ التصانيف ورتبوا فيهِ طرق المجادلات وزعموا ان غرضهم الذب عن الدين والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان قصدهم من الاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيهِ لما كان قد تولد من فتح بابهِ من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية والمفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسهِ الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد اصول الفتاوى وهم مستمرون عليهِ الى اليوم . ولسنا ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار . فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلاف والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضاً معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا بهِ هم علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

رأى المناظرين قد يلبسون على الناس للرفع من قيمة مناظراتهم وانها كان يفعلها السلف من الصحابة والكبار من الفقهاء لاحقاق الحق فقال ان الوصول الى الحق محمود فالمناظرة التي تؤدي اليهِ محمودة ولكن جعل لذلك شروطاً هي مبادئ سامية لكل مناظر ولا يمكنهم ان يدعوا الاتصاف بها

(١) ان لا يشتغل بها وهي من فروض الكفاية من لم يتفرغ من فروض الاعيان فان من عليهِ فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصدهُ الحق فهو كذاب ومثلهُ من يترك الصلاة في نفسهِ ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي استر من يصلي عرياناً ولا يجد ثوباً فان ذلك ربما يتفق ووقوعهُ ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن . والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق

(٢) ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم وفعل غيرهُ عصى بفعلهِ وكان مثالهُ مثال من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء واشتغل بتعلم الحجامة وزعم انهُ من فروض الكفاية ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل لهُ ان في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج الفعل عن كونهِ فرض كفاية. فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات لا قائم بها

(٣) ان يكون المناظر مجتهدًا يفتي برأيهِ لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة حتى اذا ظهر لهُ الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافتى بما ظهر لهُ كما كان يفعل الصحابة والائمة فاما من ليس لهُ رتبة الاجتهاد وهو حكم كل اهل العصر وانما يفتي فيما يسأل عنهُ ناقلاً عن مذهب صاحبهِ فلو ظهر لهُ ضعف مذهبهِ لم يجز لهُ ان يتركهُ فاي فائدة لهُ في المناظرة ومذهبهُ معلوم وليس لهُ الفتوى بغيرهِ وما يشكل عليهِ يلزمهُ ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابًا عن هذا فاني لست مستقلاً بالاجتهاد في اصل الشرع

(٤) ان لا يناظر الاَّ في مسألة واقعة او قريبة من الوقوع غالبًا. ولا نرى المتناظرين يهتمون بالمسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيف كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعهُ ويقولون هذه مسألة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات. فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لما ذكروا والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول

(٥) ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليهِ واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسهِ محقًّا كان او مبطلاً وانت تعلم ان حرصهم على المجامع والمحافل ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبهِ مدة طويلة فلا يكلمهُ وربما يقترح عليهِ فلا يجيب واذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعًا حتى يكون هو المتخصص بالكلام

(٦) ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يدهِ او على يد من يعاونهُ ويرى رفيقهُ معينًا لا خصمًا ويشكرهُ اذا عرَّفهُ الخطأ واظهر لهُ الحق كما لو اخذ طريقًا في طلب ضالة فنبههُ صاحبهُ على ضالتهِ في طريق آخر فانهُ كان يشكرهُ ولا يذمهُ ويكرمهُ ويفرح بهِ اما المناظرون اليوم فانت ترى كيف يسود وجه احدهم اذا

انضح الحق على لسان خصمهِ وكيف يخجل بهِ وكيف يجتهد في مجاحدتهِ باقصى قدرتهِ وكيف يذم من الخمهُ طول عمرهِ

(٧) ان لا يمنع معينهُ في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال ويخرج من كلامهِ جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما لهُ وعليهِ كقولهِ هذا لا يلزمني ذكرهُ وهذا يناقضهُ كلامك الاول فلا يقبل منك . فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل يجب قبولهُ وانت ترى جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل بعلة يظنها فيقال لهُ ما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح منهُ واولى فاذكرهُ حتى انظر فيهِ فيصر المعترض ويقول فيهِ معان سوى ما ذكرتهُ وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ايراد ما تدعيهِ وراء هذا ويصر المعترض على انهُ لا يلزمهُ ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثالهِ ولا يدري المسكين ان قولهُ اعرفهُ ولا اذكرهُ اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانهُ ان كان لا يعرف معناهُ وانما يدعيهِ لعجز خصمهِ فهو فاسق كذاب عصى الله وتعرض لسخطهِ بدعواهُ معرفة هو خال عنها وان كان صادقاً فقد فسق باخفائهِ ما عرف من امر الشرع بعد ان سئل عنهُ . فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابتدعناهُ بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني

(٨) ان يناظر من يتوقع الاستفادة ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفاً من ظهور الحق على السنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم

هذه هي المبادئ السامية التي وضعها هذا الامام الحجة الثبت للمناظرة بعد ان بين اسبابها واضرارها وعلاجها كما هو شأن الباحثين الذين يريدون الخير باممهم ولكننا بالاسف لم نستفد كثيرًا من هذه التعاليم بل بقينا كما كنا لان مظاهر الدنيا غطت على البصائر والابصار

يقول هذا الامام بعد ان ادلى بحجتهِ واعلم ان من لا يناظر الشيطان وهو مستولٍ على قلبهِ وهو اعدى عدو لهُ ولا يزال يدعوهُ الى هلاكهِ ثم يشتغل بمناظرة غيرهِ في المسائل التي المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين

تكلم الغزالي عن التعليم والتعلُّم فوضع للمتعلم والمعلم اساساً يبنيان عليها ما يريدان ان يشتغلا بهِ وهي على ما نظن من خير المبادئ التي اخرجها الفكر للناس ومعظمها في التعليم العالي الذي كان الغزالي يشتغل بهِ قال رحمهُ الله مما يلزم المتعلم

(١) ان يقدم طهارة نفسهِ عن رذائل الاخلاق فان كان الطالب رديء الخلق ما ابعدهُ عن العلم الحقيقي النافع . ومهما كان الخلق رديئاً فان التعاليم الفنية لا تزيد صاحبهُ الاَّ رداءة وخبثاً

(٢) ان لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم ويلقي زمام امرهِ بالكلية اليهِ في كل تفصيل ويذعن لنصحهِ اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمهِ ويطلب الثواب والشرف بخدمتهِ ولا ينبغي ان يسألهُ الاَّ اذا اذن لهُ فان سؤال الطالب عما لم تبلغ مرتبتهُ اليهِ مذموم

(٣) ان يحترز الخائض في العلم في مبدإ الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيهِ من علوم الدنيا ام من علوم الآخرة وذلك يدهش عقلهُ ويحير ذهنهُ ويفتر رأيهُ ويوئسهُ عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولاً الطريقة الواحدة المرضية عند استاذهِ ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذهُ مستقلاً باختيار رأي واحد وانما عادتهُ نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منهُ فان اضلالهُ اكثر من ارشادهِ فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حالهُ يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل

(٤) ان لا يدع الطالب فنًّا من الفنون المحمودة ولا نوعاً من انواعهِ الاَّ وينظر فيهِ نظرًا يطلع بهِ على مقاصدهِ وغايتهِ ثم ان ساعدهُ العمر طلب التبحر فيهِ واستوفاهُ وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منهُ في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهلهِ فان الناس اعداء لما جهلوا

(٥) ان لا يخوض في فن من الفنون دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنهُ

(٦) ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبلهُ فان العلوم مرتبة ترتيباً ضروريًّا وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج

(٧) ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنهِ وتجميلهُ بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانهُ ولا يقصد بهِ الرئاسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباراة الاقران

اما ما يلزم المرشد المعلم فهو

(١) الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيهِ

(٢) ان لا يطلب على افادة العلم اجرًا ولا يقصد بهِ جزاء ولا شكرًا بل يعلّم لوجه الله خالصاً وان لا يرى لنفسهِ منة على طلبة وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم

اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزرع العلوم فيها

(٣) ان لا يدع من نصح المتعلم شيئاً وذلك بان يمنعهُ من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي

(٤) وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سور الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار

(٥) ان المتكفل ببعض العلوم ينبغي لهُ ان لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءهُ كمعلم اللغة اذ عادتهُ تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادتهُ تقبيح علم الحديث والتفسير ومعلم الكلام ينفر عن الفقه فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب والمتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيرهِ

(٦) ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمهِ فلا يلقي اليهِ ما لا يبلغهُ عقلهُ فينفرهُ او يخبط عليهِ عقلهُ

(٧) ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقي اليهِ الجلي اللائق بهِ ولا يذكر لهُ ان وراء هذا تدقيقاً وهو يدخرهُ عنهُ فان ذلك يفتر رغبتهُ في الجلي ويشوش عليهِ قلبهُ ويوهم اليهِ البخل بهِ عنهُ اذ يظن كل احد انهُ اهل لكل علم دقيق فما من احد الاَّ وهو راضٍ عن الله سبحانهُ في كمال عقلهِ واشدهم حماقة واضعفهم عقلاً هو افرحهم بكمال عقلهِ

(٨) ان يكون المعلم عاملاً بعلمهِ فلا يكذّب قولهُ فعلهُ وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوهُ فانهُ سم ذعاف سخر الناس بهِ واتهموهُ وزاد حرصهم على ما نهوا عنهُ

هذا ايها السادة طرف من تعليم هذا الرجل في القرن الخامس من الهجرة . ومما يؤسف لهُ في حياة هذه الامة البائسة ان وجد فيها كثير من ارباب الفكر الذين ازاحوا عن اعناقهم نير التقليد بما ادنوهُ من قوة العقل ورباطة الجأش ولكن تعاليمهم لا تلبث ان يأتي عليها الزمن فتضحى كامس الدابر ولا يكون للخلف نصير يهذب قواعدها ويدعو الناس الى العمل بها . ويا ليت ان المنكرين يخلصون لا عليهم ولا لهم بل الامر بالعكس فان كتب الغزالي طالما لقيت اضطهاداً حتى في المدن المستنيرة فقد احرقت في رابعة النهار بمدينة المرية احدى حواضر الاندلس وجعلهُ من ترجمهُ موضوعاً للقادحين والمادحين فهذا يقول زائغ ملحد وآخر يقول بل مؤمن محقق ويظلون في ابحاث الالفاظ حتى يضيقوا الخناق على من يقرأ كلامهم اما الموضوع والتعاليم فقلما يبحثون فيها . ولذلك قلما تكون لتعاليم النابغين

آثار عملية في حياة هذه الامة ويعتقد كثير من الناس ان حياتهم لا تدوم الاَّ بمصادمة كل ذي فكرة يرى فيها صلاحاً لأمتهِ فيخلقون لهُ العراقيل ويتهمونهُ بما شاؤُوا من التهم واذا اعوزتهم الحيلة جاءوا من قبل الدين فيمثلونهُ للعامة بصورة تقشعر منها الابدان ولولا ان الغزالي كان يظهر للناس آراءهُ وهو بعيد من دنيا اهل السوء حينما نفى عليهم مذاهبهم لنالهُ منهم شر كثير

وبالجملة فانا نرى الغزالي قد ارتفع كثيرًا عن الوسط الذي عاش فيهِ وابدى آراءهُ بكثير من الصراحة وان لم يمكنا ان نقول بكل الصراحة

آراء الغزالي في النفس

الغزالي كان جل ما يسعى اليهِ هو الفضيلة والتحلي بها ومن هذا شأنهُ لا بد لهُ من كلمة في النفس واني ارى آراءهُ فيها نضجت من قبل التصوف المصحوب بالنقل عن الدين وهو من ابحاثهِ بعيد عن التشريح (التحليل) الفلسفي وهو ما اهتم بهِ المتقدمون من الفلاسفة وقليل من متاخريهم كما انهُ بعيد عن التشريح العملي وهو ما يميل اليهِ كثير من فلاسفة الغربيين الآن

قال الغزالي ان هناك اربعة من الاسامي تختلف مسمياتها القلب والنفس والروح والعقل

فاما القلب فحقيقتهُ الجسمية معلومة وتستوي فيهِ الحيوانات . واما القلب المشار اليهِ بقولهِ تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان لهُ قلب او القى السمع وهو شهيد) فهو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان واما علاقتها بالقلب الجسماني فمما حار فيهِ الغزالي او مما لم يرد اظهارهُ

الروح يراد بها معنيان احدهما جسم لطيف منبعهُ تجويف القلب فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانهُ في البدن وفيضان انوار الحياة والحس منها على الاعضاء يشبه فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانهُ لا ينتهي الى جزء من البيت الاَّ ويستنير بهِ والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركتهُ في الباطن مثل حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركهِ — الثاني — هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو المعنى الثاني من معاني القلب

النفس يراد بها معنيان احدهما المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان — الثاني تلك اللطيفة التي هي الانسان بالحقيقة ولها اوصاف باختلاف احوالها فهي المطمئنة وهي اللوامة

العقل ذكر لهُ اربعة معان — اولها — ذلك الوصف الذي استعد بهِ الانسان لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الغريزة او هو الاستعداد — ولا نظن

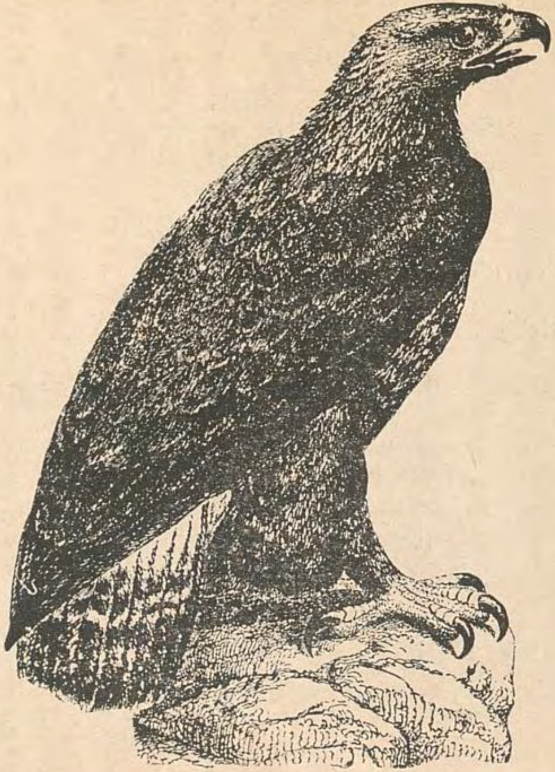

L'aigle العقاب

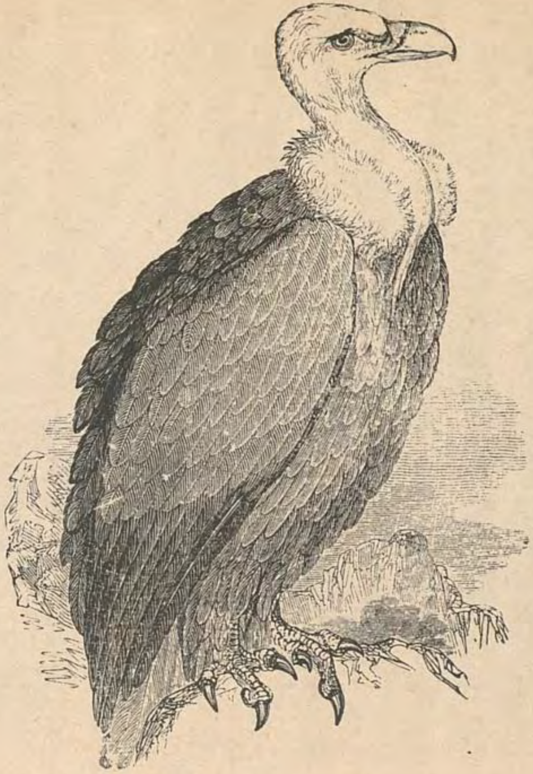

Le vautour النسر

احدًا ينكر هذا المعنى حتى الماديين انفسهم — قال ونسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤْية — الثاني — العلوم الاولية التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز وقد صحح الغزالي هذا الاطلاق ونفى ان يكون العقل هو هذه العلوم لا غير — الثالث — العلوم المستفادة من التجارب — الرابع — ان تنتهي تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة . وسكت الغزالي بالمرة عن المخ وتلافيفهِ فلم يتكلم عليهِ بكلمة وكأَنهُ اعتبرهُ مجرد آلة للادراك كبقية الآلات تعمل في الجسم بتدبير الروح وهذا مما لا اجيز لنفسي الخوض فيهِ الاَّ اذا كنت ممن يسيرون وراءَ الظنون والتخمينات

اظن ايها السادة ان هذا القدر يظهر لحضراتكم الغزالي ونسبتهُ الى الوسط الذي عاش فيهِ . وللرجل بعد تعاليم كثيرة في الاخلاق وتهذيب النفس وهو ما قصر نفسهُ عليهِ في آخر عمرهِ ولا يفي وقتي بان اطيل عليكم فاكتفي بهذا القدر والسلام محمد الخضري

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

العُقَاب Aquila. E. Eagle. F. Aigle طائرٌ من سباع الطير وهي اعظم الجوارح اي الكواسر ولا تقع على الجيف الاَّ اذا عضَّها الجوع . قويَّة المخالب ومسرولة اي في ساقيها ريش ولها منسرٌ اي منقار قصير اعقف واقنَى بالشغواء واللخواء لتعقّفهِ وزيادة اعلاه على اسفلهِ

النَسْر Vultur. E. Vulture. F. Vautour طائر من سباع الطير لكنهُ ليس من عتاقها اي جوارحها بل يقع على الجيف وقلما يصيد وهو اعظم من العقاب شرهٌ نهمٌ رغيب . لهُ منسرٌ طويل منعقف في طرفهِ فقط ولا ريش لهُ في رأْسهِ وعنقهِ بل فيهما زَغَب ابيض قصير ولهُ بُرَائِل اي ريشٌ مستدير باسفل عنقهِ . ساقاهُ عاريتان ولا مخالب لهُ بل اظفار ولا يقوى على جمع اظفارهِ وحمل فريستهِ بها كما تفعل العقاب بمخالبها . والنسور انواع كثيرة اشهرها الرخمة وسيأْتي ذكرها وهذا الطائر الذي مرَّ وصفهُ وهو المعروف بالنسر عند العرب من عهد جاهليتهم الى يومنا ويعرف بهذا الاسم عند المتكلمين بالعربية من المغرب الاقصى الى العراق ومن الشام شمالاً الى اليمن والسودان جنوبًا ويسميهِ علماءُ الحيوان Gyps fulvus وهو Vautour fauve بالفرنسوية و Griffon vulture بالانكليزية

وقد اخطأ كثيرون من المعرّبين والكتّاب المحدَثين في التمييز بين هذين الطائرين ولعلّ السبب في ذلك ترجمة التوراة فلفظة النسر في الكتاب المقدّس يقابلها نَشَر بالعبرانية و Aetos باليونانية و Aquila باللاتينية و Aigle بالفرنسوية الخ . ولعلماء التوراة مباحث دقيقة في هذا الموضوع فالنسر يسمّي Gyps باليونانية و Vultur باللاتينيّة والعقاب Aetos باليونانية و Aquila باللاتينية غير ان بعض اليونانيين ومنهم نقلة التوراة الى اللغة اليونانية توسّعوا في لفظة Aetos واطلقوها على هذين الطائرين بدون تمييز بينهما وهي اللفظة المستعملة في ميخا ١ : ١٦ حيث قال " وسّعي قرعتك كالنسر " وفي متى ٢٤ : ٢٨ في قولهِ " حيث تكون الجثّة فهناك تجتمع النسور " . فاللفظة العربيّة في محلها في هاتين الآيتين يقابلها لفظة نشر العبرانية في الآية الاولى واما اللفظة اليونانية فمن باب التوسع لان هذا الوصف لا ينطبق عليها بل على الطائر المسمى Gyps عندهم فالمسمى Aetos لا يقع على الجثث الاَّ فيما ندر ولا هو اقرع . وقد قيل ان العبرانيين والعرب توسعوا في لفظة النسر ايضاً . اما كون العبرانيين فعلوا ذلك فلا اتعرّض لهُ والذي اعلمهُ ان العرب لم يفعلوا شيئاً من هذا فالنسر والعقاب عندهم طائران مختلفان من عهد شعراء الجاهلية الى يومنا هذا والاول يسميهِ الافرنج Vultur والثاني Aquila كما سابينهُ

وقد نبّه ساڤيني الى هذا الخطإ في الترجمة منذ مئة عام تقريباً والمقتطف منذ خمس عشرة سنة (مجلد ١٨ صفحة ٦١٠) والاب انستاس الكرملي منذ ست سنوات (مجلة المشرق مجلد ٥ صفحة ٦٧٦) والترجمة خطأٌ في كثيرٍ من المعجمات التي بين ايدينا وهي خطأٌ في بادجر وصواب في لاين . بقي عليّ الآن ان ابين صحة الترجمة كما ذكرت فاقول

اولاً — لفظة Aetos اليونانية جاءت بمعنى العقاب العربيّة فهي كل مرتفع عالٍ لم يطل كثيرًا مثل المسنّم والقمة وهي الراية ايضاً وهذان المعنيان من معاني العقاب العربية

ثانياً — قالوا ابصر من عقاب وقال الافرنج Avoir des yeux d'aigle

ثالثاً — قال العرب العقاب سيد الطيور وقال الافرنج L'aigle est le roi des oiseaux

رابعاً — الفلكيون من العرب سموا العقاب من صور السماء ما يسميهِ الافرنج(١) Aquila

اما النسران عند العرب وهما النسر الطائر والنسر الواقع فهما خلاف العقاب فالاول كوكب في صورة العقاب ويسميهِ الافرنج Altair بلفظهِ العربي والثاني كوكب في صورة الشلياق المسماة Lyra عند الافرنج

---

(١) من لفظة اولاً الى هنا عن الاب انستاس الكرملي بتصرف قليل

خامساً — يسمى الأَنف الاقنى عند الافرنج Aquiline تشبيهاً لهُ بمنسر العقاب لانهُ اكثر تعقفاً من منقار النسر وقد مرَّ بنا ان العقاب تلقَّب بالشغواء والخوَاء لتعقف منقارها

سادساً — كانت العقاب راية قريش وراية صاحب الشريعة الاسلامية وفي قصة عنترة كانت راية بني عبس ايضاً ولم يذكر التاريخ فيما اعلمهُ ان صورة العقاب كانت مرسومة على هذه الرايات لكنها كانت مرسومة على رايات الفرس والرومان Aquila والفرنسويين في زمن الامبراطوريتين Aigle ولم يسمع ان العرب او غيرهم اتخذوا النسر رايةً لهم لانهُ من لئام الطير . والعقاب شعار بروسيا والنمسا وروسيا وغيرها والعقاب المزدوجة الرأس في شعار روسيا يسميها الفرس عقاب دوسر اي العقاب ذات الرأسين . وقول الجرائد نشان النسر الاسود او الاحمر خطأٌ وصوابهُ نشان العقاب السوداء او الحمراء . ولا ريب ان امبراطور الالمان يأنف ان يكون النسر شعارًا لمملكتهِ . والعقاب لقب بهاء الدين قره قوش خادم صلاح الدين ومعنى قره قوش بالتركية عقاب (ابن خلكان) ويترجمونها Aigle بالفرنسوية فالعقاب عند العرب رمز البأس والقوة وهي كذلك عند الافرنج

سابعاً — جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ما نصهُ «زعم صاحب المنطق (اي ارسطو) انهُ ليس شيءٌ في الطير اجفى لفراخهِ من العقاب وانهُ لا بد من ان يُخرج واحداً وربما طردهنَّ جميعاً حتى يجيء طائر يسمى كاسر العظام فيتكفل بهِ» . وقد اصاب الجاحظ في نسبتهِ هذا القول الى ارسطو كما يتبين لدى المراجعة (كتاب النعوت ٦ : ٦ : ١) فالعبارة منقولة بالحرف الواحد تقريباً واللفظة اليونانية التي عرّبت بالعقاب هي Aetos اي Aquila باللاتينية

ثامناً — تطلق لفظة النسر في العراق والشام ومصر والسودان وبلاد العرب والمغرب في يومنا على هذا الطائر الاصلع الرأس الذي يسميهِ الافرنج Vultur ولفظة العقاب على هذا الطائر الشبيه بالصقر او البازي المسمى Aquila عند الافرنج وقد ذكر ذلك كثيرٌ من السياح وعلماء الحيوان مثل سافيني وبروس وترسترام وبرتون ودوطي وغيرهم اي كما سمعوا هاتين اللفظتين من اهالي البلاد التي مرّوا فيها وهي الترجمة التي عوّل عليها كبار المستشرقين مثل لكلرك في نقلهِ مفردات ابن البيطار الى اللغة الفرنسوية ولاين صاحب المعجم المشهور وجايكر مترجم حياة الحيوان الكبرى وقد نبّه سافيني الى كثرة الخطاء في ترجمة هذه اللفظة فقال ما تعريبهُ «الطائر المسمى Griffon هو النسر المذكور في الدميري ويعرف بالنسر عند عامة المصريين وكانت لفظة النسر تترجم بلفظة Aquila غير ان الاعراب وعلماء الطبيعيات عند العرب يطلقونها على ما نسميهِ Vautour (وصف مصر مجلد ٢٣ صفحة ٢٣٦)

تاسعاً — وصف النسر في كلام العرب والمؤلفات العربية ينطبق على ما نسميهِ نسرًا في وقتنا الحاضر وعلى ما يسميهِ الافرنج Vultur ووصف العقاب ينطبق على ما نسميهِ عقاباً ويسميهِ الافرنج Aquila . قال ابن المقفع في كتاب كليلة ودمنة " خير السلاطين من اشبه النسر وحولهُ الجيف لا من اشبه الجيفة وحولها النسور " وقال الجاحظ في كتاب الحيوان " والرخم والنسر سباع وانما قصر بها عدم السلاح فاما البدن والقوة ففوق جميع الجوارح ولكنها في معنى الدجاج لمكان البراثن ولعدم المخالب ". وقال ايضاً " النسر طائر ثقيل عظيم شرهٌ رغيب نهم فاذا سقط على الجيفة وتملأ لم يستطع الطيران حتى يثب وثبات ثم يدور حول مسقطهِ مرارًا ويسقط في ذلك فلا يزال يرفع نفسهُ طبقةً طبقةً في الهواء حتى يدخل تحتهُ الريح ... وهو ليس بذي مخلب وانما لهُ اظفار كاظفار الدجاج " . وفي الدميري والقزويني شيءٌ مثل هذا وبعضهُ منقول عن الجاحظ . وقد وصف بعضهم بياض رأس النسر في قولهِ

ورجعتُ من بعد الشباب وعصرهِ   شيخاً ازبَّ كأنهُ نسرُ

وقال النابغة يصف النسور خلف الجيش مشبهاً لها بالشيوخ على اكتافها فراءٌ من جلود الارانب

تراهنَّ خلف القوم خزرًا عيونها   جلوس الشيوخ في ثياب المرانبِ

ولامرأة في قتيل تصف مشية النسور اليهِ

تمشي النسور اليهِ وهي لاهيةٌ   مشيَ العذارى عليهنَّ الجلابيبُ

وللمتنبي في وصف النسر

يفدِّي اتمُّ الطير عمرًا سلاحهُ   نسورُ الفلا احداثها والقشاعمُ
وما ضرَّها خلقٌ بغير مخالبٍ   وقد خُلقت اسيافهُ والقوائمُ

وفي لسان العرب " النسر طائرٌ معروف زعم ابو حنيفة (اللغوي) انهُ من العتاق قال ابن سيده ولا ادري كيف ذلك .. يقال النسر لا مخلب لهُ وانما لهُ الظفر كظفر الدجاجة والغراب والرخمة "

اما العقاب فهي من الجوارح اي التي تصيد . قالوا هوت العقاب اذا انقضت على صيدٍ او نحوهِ . قال ابن سيده في المخصص " واعظم الجوارح العقاب وليس بعد النسر من الطير اعظم منها وهي سوداء دجوجية .... ذكور العقبان من طيرٍ آخر لطاف الجروم لا تساوي

شيئًا (١) والعقاب تصيد للناس يربونها ". وفي لسان العرب " قال ابن الاعرابي عناق الطير العقبان وسباع الطير التي لا تصيد " وهذا الوصف لا يصدق الأ على ما يسميهِ الافرنج Aquila وكان الافرنج يصيدون بها ايضاً ولم يسمع ان العرب كانت تصيد بالنسر. وقد ورد ذكر العقاب وصيدها في كثير من اشعارهم . قال بعضهم

كاني بين خافيتي عقابٍ اصاب حمامةً في يوم غينِ

ومن الشعر المنحول الى امرىء القيس قصيدة يصف بها فرسهُ مشبهاً لها بالعقاب ولا بأس بايراد الابيات التي يصف بها العقاب لانهُ لم يرد منها في دواوين امرىء القيس المطبوعة الأ البيت الاول فقط والابيات هي

كانها (٢) حين فاض الماء واحتفلت سَقعاء (٣) لاح لها بالقفرةِ الذيبُ
فابصرت شخصهُ من رأس مرقبةٍ ودون موقعها منهُ شناخيبُ (٤)
فاقبلت نحوهُ في الجوّ كاسرةً يحثها من هويّ اللوحِ تصويبُ
صُبّت عليهِ ولم تنصبّ من أَمَمٍ (٥) انّ البلاء على الأشقَيْن مصبوبُ
كالدلوِ بُتّت عُراها وهي مثقلةٌ وخانها وَذَمٌ منها وتكريبُ (٦)
لا كالتي في هواء الجوّ طالبةٌ ولا كهذا الذي في الارض مطلوبُ
كالبرق والريح مرآتاهما عجبٌ ما في اجتهادٍ عن الإسراع تغبيبُ (٧)
فادركتهُ فنالتهُ مخالبها فانسلّ من تحتها والدفُّ منقوبُ (٨)
يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت منها ومنهُ على الصخرِ الشآبيبُ (٩)
ثم استغاث بدحلٍ وهي تعفرهُ وباللسان وبالشدقين تتريبُ (١٠)
ما اخطأتهُ المنايا قيسَ أُنملةٍ ولا تحرّز الأ وهو مكروبُ (١١)
فظلّ منجحرًا منها يراصدها ويرقبُ الليل انّ العيش محبوبُ

اصلاح خطأ — جاء في العدد الماضي " فرن الخرتيت يأتي في الكركدّن " وصوابها يأتي في الكركدَّن وعليهِ تسقط العبارة التي بعدها والخطأ الاصلي في تذكرة داود الانطاكي التي اخذت عنها واني اشكر الشيخ عبد القادر المغربي لانهُ نبهني الى ذلك

---

(١) قولهُ ان ذكور العقبان اصغر من اناثها صحيح لكن الفرق ليس عظيماً كما يفهم من كلامهِ

(٢) اي فرسهُ (٣) وفي رواية اخرى فتخاء وكلاهما بمعنى العقاب (٤) الشنخوب اعلى الجبل

(٥) قرب (٦) شبه سقوطها عليهِ كالدلو قطعت عراها وحبالها وهي مثقلة بالماء (٧) تقصير وفتور

(٨) اي الجنب منقوب بمخالبها (٩) اي دفعات الدم مثل شؤبوب المطر (١٠) الدحل نقب في الارض فمهُ ضيق واسفلهُ متسع والتتريب التلطخ بالتراب (١١) المكروب الذي قد شارف على الموت

المعادن وما يستخرج منها

كان عصر لم يكن الناس يعرفون فيهِ غير الذهب والفضة والنحاس كما يظهر من آثارهم الباقية الى الآن وهو المعروف بفجر التاريخ وقد مضى عليهِ الآن نحو عشرة آلاف سنة . ثم عرفوا الحديد والقصدير والرصاص واستخرجوا الزيبق فصارت المعادن سبعة وهي غاية ما عرفوهُ وحسبوا انها منتهى ما يمكن الوصول اليهِ لان العدد سبعة عدد كامل في عرفهم . فلما اتّصل العلم بالعرب وارادوا الابقاء على كون المعادن سبعة اخرجوا منها الزيبق والقصدير واضافوا اليها الخارصيني عنوا بهِ البرنز والاسرب عنوا بهِ الرصاص او التوتيا كما سيجيء

قال الامام القزويني في عجائب المخلوقات ان المعادن الاصلية او الفلزات مركبة كلها من الزيبق والكبريت فاذا اختلط الزيبق بالكبريت الاصفر اختلاطًا تامًّا وكانا نقيين صافيين تكوَّن منهما الذهب واذا كان الكبريت ابيض تكونت منهما الفضة واذا اصاب المزيج برد قبل النضج تكوَّن الخارصيني وان كان الزيبق صافيًا والكبريت رديئًا تولَّد النحاس وان كان الكبريت غير جيد المخالطة مع الزيبق تولَّد الرصاص وان كان الكبريت والزيبق رديئين ضعيفي التركيب تولَّد الاسرب . وزعم ان ذلك معروف بتجربة اهل الصناعة . وهو زعم فاسد كما لا يخفى لانهُ لم يتيسَّر لاحد حتى الآن ان يصنع معدنًا من المعادن الاصلية بتركيبهِ من الزيبق والكبريت

والمعادن التي ذكرها القزويني معروفة الآن باسمائها الاَّ الخارصيني والاسرب . ويظهر لنا انهُ اراد بالاول البرنز اي النحاس الممزوج بالقصدير لقولهِ ان معدنهُ بارض الصين وان نصلهُ شديد الصلابة يتخذ منهُ الكلاليب يصاد بها الحوت وتُتخذ منهُ المرآة فان معدن القصدير كثير في بلاد الصين والنحاس الممزوج بهِ صلب جدًّا وتصنع منهُ النصال ورؤُوس السهام والمرايا الصينيَّة . ولكن النحاس لا يمزج بالقصدير الصرف بل بحجارة فيها قصدير . ويُحتمل انهُ اراد بالاسرب نوعًا من حجارة التوتيا بدليل قول ابن سينا انهُ اذا شدَّت صفيحة من الاسرب على الخنازير والغدد تذيبها وقول القزويني انهُ صنف اردأ من الرصاص لان مادتهُ اكثر وساخةً منهُ وقول اليونان والرومان ان التوتيا فساد او وسخ في الرصاص . وواضح مما تقدَّم ان القزويني لم يشر الى القصدير نفسهِ في كلامهِ على الخارصيني بل الى البرنز ولم يشر الى التوتيا في قولهِ الاسرب بل الى خليط منها او الى حجر من حجارة الرصاص

ويظهر لنا ان لفظة خار في كلمة خارصيني هي خلكوس اليونانية ومعناها النحاس وكلمة قصدير

العربيَّة يونانية الاصل وهي كاستروس باليونانية و يظهر من كلام بلينيوس ان الرومانيين لم يكونوا يميزون بين القصدير والرصاص بل كانوا يسمون الاول الرصاص الابيض والثاني الرصاص الاسود اذا ارادوا الفرق بينهما

ولا يعلم اي هذه المعادن كُشف اولاً ولكن يرجح ان الذهب كشف اولاً لانهُ يوجد صرفًا وكذلك الفضة والنحاس والزيبق · واتفق لبعض الصناع ان مزج النحاس بتراب فيهِ قصدير وهو يسبكهُ فكان منهُ مزيج شديد الصلابة وهو البرنز · والبرنز قديم جدًّا فقد وجدت قطع منهُ في اقدم الآثار المصرية اما الحديد وهو اكثر المعادن وجودًا بعد الاليومنوم فتأخر سبكهُ لانهُ لا يوجد صرفًا ولان سبكهُ يقتضي حرارة شديدة جدًّا وكان المظنون انهُ لم يعرف الَّا منذ نحو ١٥٠٠ سنة ولكن يظهر من بعض المكتشفات الحديثة انهُ اقدم من ذلك كثيرًا ولعلَّ الناس عثروا اولاً على بعض الحجارة النيزكية التي اكثرها حديد صرف وتمكنوا من احمائها وتطريقها وعمل بعض الادوات منها ثم اكتشف الانتيمون والبزموت نحو سنة ١٤٥٠ والتوتيا المعدنية سنة ١٥٢٠ والزرنيخ سنة ١٦٩٤ والكوبلت والبلاتين سنة ١٧٣٥ والنكل سنة ١٧٥١ والمنغنيس سنة ١٧٧٤ والتنجستن والمولبدنوم سنة ١٧٨١ وتوالت سلسلة المكتشفات الى الآن

الَّا ان المعادن التي يكثر استعمالها في الصناعة كثيرة الوجود في التجارة وهي احد عشر معدنًا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والزيبق والتوتيا والنكل والبلاتين والاليومنوم · ويتلوها ستة معادن يمزج بها الحديد الآن وهي المنغنيس والتنجستن والمولبدنوم والتتانوم والكروم والفناديوم وستة اخرى تستعمل مركباتها بكثرة وهي البزموت والزرنيخ والكوبلت والاورانيوم والثوريوم والكدميوم وثلاثة تستعمل في الآلات التي تحتاج الى تدقيق كثير · ولا يزال نصف المعادن من غير فائدة تذكر ولكن قد توجد لهُ فوائد كبيرة فالليثيوم مثلاً اخف من الماء كثيرًا فاذا وجدت واسطة تقيهِ من التأكسد في الهواء فلا يبعد ان يستخدم لعمل آلات الطيران

ولدينا الآن آخر احصاء لما استخرج من هذه المعادن من المسكونة كلها سنة ١٩٠٦ وهو كما يلي

الذهب

كان مقدار ما استخرج من الذهب سنة ١٨٥٠ اي قبل اكتشاف مناجم كليفورنيا ومناجم استراليا نحو ستين طنًّا والطن يساوي ١٢٠٥٧٢ جنيهًا ولذلك فالذهب الذي كان

يستخرج في السنة من مناجم الارض كلها لم يكن يزيد على سبعة ملايين وربع مليون من الجنيهات اما سنة ١٩٠٦ فبلغ المستخرج من مناجم الذهب كلها٦٧٥طنًا او نحو ٨١ مليونًا من الجنيهات واكثرها من الاملاك الانكليزية كما ترى في هذا الجدول وقد ذكر فيهِ مقدار الذهب بالكيلوغرام

من بريطانيا وارلندا	٤٨	من روديسيا	١٤٥٢٨
" استراليا	١٠٧٣٤١	" غينيا البريطانية	٢٢٨٢
" كندا	١٨٠٩٠	" شاطىء الذهب	٦٥٣٣
" الهند	١٦٣٣٠	" الولايات المتحدة	١٤١٩٩٨
" زيلندا الجديدة	١٦٦٢٨	" روسيا	٣٣٥٤٢
" الترنسفال	١٨٠١٧٧	" المكسيك	١٩٧٦٧

الفضة

وكما زاد المستخرج من الذهب زاد المستخرج من الفضة فقد كان المستخرج منها سنويًا نحو ٩٧٥ طنًا قبل سنة ١٨٥٠ فصار ٦٣٦٠ طنًا سنة ١٩٠٦ واكثرها من بلاد المكسيك والولايات المتحدة كما ترى في هذا الجدول

من المكسيك	٢٧٥٣٦٠٨	كيلوغرامات
" الولايات المتحدة	١٧٥٧٩٠٥	"
" استراليا	٠٤١٤٨٣٧	"
" كندا	٠٢٦٦٥١٥	"
" بيرو	٠٢٣٠٣٠٠	"
" المانيا	٠١٧٧١٨٣	"
" بوليفيا (باميركا الجنوبيَّة)	٠٠٩٦٤٤٣	"
" اليابان	٠٠٨١١٦١	"

وثمن الطن من الفضة الآن نحو ٣٢٠٨ جنيهات لا غير

النحاس

استخرج من النحاس سنة ١٨٥٦ نحو ٤٧٣٠٠ طنًا وسنة ١٨٧٩ نجو١٩٩٠١٧ طنًاوقد بلغ المستخرج منهُ ٧٨٦٧٩٤ طنًا سنة ١٩٠٦ اكثرها من الولايات المتحدة الاميركية فان المستخرج منها وحدها بلغ ٤١٦٣١٤ طنًا وتتلوها اسبانيا والمكسيك واليابان وشيلي واستراليا وكندا

الحديد

الحديد انفع المعادن واكثرها استعمالاً وهو اساس العمران الحديث . وقد أُحصي المستخرج منهُ سنة ١٨٦٥ فكان نحو عشرة ملايين طن فبلغ سنة ١٩٠٦ نحو ٦٥ مليون طن اي زاد اكثر من ستة اضعاف في نحو اربعين سنة ولو سُبك هذا المقدار في شكل هرمي لتكوَّن منهُ ثلاثة اهرام كلٌّ منها اكبر من هرم الجيزة الاكبر

ونحو نصف الحديد يستخرج من الولايات المتحدة الاميركية وتتلوها المانيا فانكلترا فاسبانيا ففرنسا كما ترى في هذا الجدول

اميركا	٢٥٧١٣٥٥٧ طنًا	فرنسا	٠٣٠٠٠٠٠٠ طنًا
المانيا	٠٧٠٢١٨٦٧ "	اسوج	٠٢٧٤٦٥٩٠ "
بريطانيا	٠٥١٢١٢٤٦ "	روسيا	٠٢٦٦١٠٢٩ "
اسبانيا	٠٤٦٩٤٦٥٩ "	لكسمبرج	٠٢٦٠٢٥٧٨ "

الرصاص

استخرج من الرصاص سنة ١٨٨٥ نحو ٣٩١٥٤٢ طنًا وسنة ١٩٠٦ نحو ١٠٦١٥٣٣ طنًا اي نحو ثلاثة اضعاف ما استخرج منذ عشرين سنة . واكثر الرصاص يستخرج من الولايات المتحدة الاميركية وتتلوها اسبانيا والنمسا ثم المانيا والمكسيك

القصدير

كان المستخرج من القصدير سنة ١٨٦٢ نحو ٢٢٠٠٠ طن نصفها من كورنول ببلاد الانكليز والباقي من سائر ممالك الارض اما في سنة ١٩٠٦ فبلغ المستخرج ١٠٩٠٠٠ طن اي زاد نحو خمسة اضعاف نصفها من بلاد ملقا التابعة للبلاد الانكليزية وتتلوها املاك هولندا الهندية وجمهورية بوليفيا في اميركا الجنوبية واستراليا وسيام والصين

الزيبق

لم يعدَّ القزويني الزيبق بين المعادن مع انهُ معدن صرف لكنهُ سائل على درجة الحرارة العادية فاذا اشتدَّ البرد عليهِ جمد كسائر المعادن . وقد بلغ المستخرج منهُ سنة ١٨٧٧ نحو ٥٣٠٠ طن ولم يزد سنة ١٩٠٦ على ٣٩٦٤ طنًا . وقد كان المعدنون يكثرون من استخراجهِ لاستخراج الذهب والفضة بهِ فلما استعملت طرق اخرى لاستخراج الذهب والفضة قلَّ المستخرج من الزيبق . وقد استخرج من اسبانيا من نحو ثلاثة آلاف سنة وهو كثير فيها وفي غيرها من البلدان ولكنهُ لا يستعمل الآن الَّا في بعض الاعمال الكيماوية والآلات

الطبيعيَّة ولا يزال يستعمل على قلة في عمل المرايا ويقال انهُ اذا اكتشفت مناجم غنية بالذهب في اسيا وافريقية حيث يتعذر وجود الفحم الحجري كثر استعمال الزيبق لاستخراج الذهب منها

التوتيا

كانت التوتيا عثرة في سبيل مستخرجي الرصاص منذ الف سنة فصارت في الربع الاخير من القرن الماضي من انفع المعادن وقد بلغ المستخرج منها سنة ١٨٨٣ نحو ٣١٠٠٠٠ طن وكان اكثر استعمالها في عمل النحاس الاصفر (الصفر) لانهُ مزيجٌ من النحاس والتوتيا ثم استعملت لطلاء ورق الحديد وكثر استعمالها في البطريات الكهربائية وفي استخراج الذهب بطريقة السيانيد وقد بلغ المستخرج منها سنة ١٩٠٦ نحو ٧٧٤٥٢٥ طنًّا اكثرها من المانيا والولايات المتحدة الاميركية وتتلوهما ايطاليا واسبانيا واستراليا واسوج

الاليومنوم

لما كنا ندرس الكيمياء منذ اربعين سنة كانت احلام الصبا تمنينا باكتشاف طريقة لاستخراج الاليومنوم من الدلغان لانهُ كان غاليًا كالفضة مع انهُ كثير كالتراب وانما غلاؤُهُ من صعوبة استخراجهِ وجرَّبنا تجارب كثيرة على غير جدوى

وقد كان ثمن الدرهم من الاليومنوم نحو غرش منذ عشرين سنة ولم يبلغ المستخرج منهُ حينئذٍ سوى خمسين طنًّا ثم زاد المستخرج بسرعة فبلغ سنة ١٩٠٠ نحو ٥٠٠٠ طن وهبط ثمن الرطل المصري من مئة غرش الى ٣٠ غرشًا وبلغ المستخرج سنة ١٩٠٦ نحو ٢٠٠٠٠ طن وصار ثمن الرطل سبعة غروش

والاليومنوم اكثر المعادن وجودًا وقد قدَّر احد كبار الجيولوجيين انهُ اكثر من ثمانية في المئة من قشرة الارض والحديد اقل من خمسة في المئة من قشرتها. وهو اخف من الحديد جدًّا فان ثقلهُ ثلث ثقل الحديد ومتانتهُ مثل متانة الحديد المصبوب (الزهر) فاذا زيدت وسائل استخراجهِ اتقانًا حتى رخص ثمنهُ كالحديد او صار مضاعف ثمن الحديد فضّل على الحديد من كل وجه لانهُ لا يصدأُ مثلهُ

النكل

لم يكن احد يعرف النكل منذ خمسين سنة غير الكيماويين ولم يكن يستخرج منهُ منذ اربعين سنة اكثر من مئة طن في السنة وكان ثمن الرطل منهُ خمسين غرشًا الى ستين . ثم اكتشف في اماكن عديدة وبلغ المستخرج منهُ سنة ١٩٠٦ نحو ١٩٠٠٠ طن . ويكثر

استعمالهُ الآن مزيجاً مع الحديد الذي تدرّع بهِ البوارج فيزيد في صلابتهِ ومتانتهِ وتصكّ منهُ النقود الرخيصة كالغروش المصرية وهو افضل من النحاس لهذه الغاية

البلاتين

هو اثقل المعادن المستعملة في التجارة واندرها وكل ما استخرج منهُ منذ اول اكتشافهِ الى آخر سنة ١٩٠٧ لا يزيد على ١٦٠ طنًّا وهو الآن اغلى من الذهب بنحو ٢٥ في المئة والمانع من كثرة استخراجهِ واستعمالهِ ان مناجمهُ التي يوجد فيها بكثرة واقعة في كولمبيا وروسيا حيث وسائل التعدين قليلة ولا يقدم ارباب الاموال على المخاطرة باموالهم

وقد ذكرنا في الجدول التالي مقدار ما استخرج من هذه المعادن سنة ١٩٠٦ وثمن المستخرج منها

المعدن	الوزن بالطن	الثمن بالجنيه المصري
الحديد	٦٤٩٨٣٤٨١	٤٦٤٧٠٩٨٥٦
الذهب	٦٧٥	٠٨١٣٨٦٢٦٤
النحاس	٧٨٦٧٩٤	٠٦١٩٩٩٣٦٧
الفضة	٦٣٦٥	٠٢٤٧٦٤٥٨٥
الرصاص	١٠٦١٥٣٣	.٢٤٠٩٦٧٩٩
القصدير	٠١٠٨٧٣٨	٠١٧٣١٥٥٥٣
التوتيا	٠٧٧٤٥٢٥	٠١٣٨٨٥٦٨٤
النكل	٠٠١٨٩٨٣	٠٠٣٣٧٥٩٣٦
الاليومنوم	٠٠٢٠١٥٧	٠ ٣٠٦٣٨٦٤
الزيبق	٠٠٠٣٩٦٤	٠ ٠٨٤٦٧١.
البلاتين	٥ ½	٠٠٠٧٠٥٤٩٦
والجملة	٦٧٧٦٥٢٢٠ ½	٦٩٦٢٠٠ ١١٨

فمجموع قيمة هذه المعادن التي استخرجت سنة ١٩٠٦ اقل من ٧٠٠ مليون جنيه ثلثاها ثمن الحديد والثلث الباقي ثمن سائر المعادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص الخ ولذلك لا عجب اذا لقّب هذا العصر عصر الحديد لان لهُ المقام الاول في كل الاعمال

وغني عن البيان ان المعادن ثروة طبيعيَّة دائمة ولقد كان لها الشأن الاكبر في عمران الممالك فان الحاصلات الزراعية اثمن منها ولكنها تنفد في سنتها وما يبقى منها من سنة الى

اخرى يتلف غالباً واما المعادن فثروة مقيمة يستخرج منها على قدر الحاجة وما يستخرج هذه السنة يضاف الى ما استخرج في السنين الماضية وقلما يتلف منهُ شيءٌ ولذلك فالامم التي وجدت المعادن في بلادها فاقت غيرها في ميدان الحضارة

الاحسان (١)

رفقاً أخا الانسان بالانسانِ   لا خير في مالٍ بلا احسانِ
أنجد اخاك بما ينالك اجرهُ   ان المؤاسي افضل الاخوان
وصنائع المعروف حصن مانع   ترتدُّ عنهُ طوارق الحدثان
كل المحاسن جمعت في واحد   عطف الغني على الفقير العاني
لم أُلقِ افصح من مدامع صامت   نزلت عليها آية الشكرانِ
ولرب شهم لا تراهُ شاكياً   يخلو فيندب حظهُ القمرانُ
كم رقعة في ثوب حر بائس   ينهل منها مدمع الاجفان
تأبى السؤال عليهِ عزة نفسهِ   فيبيتُ مطويًّا على الكتمان
ذاك الفقير تعهدوهُ بالندى   سرًّا والأ مات بالاعلان
واشدُّ تعساً بائس ذو علةٍ   انحى عليهِ الدهر بالحرمانِ
داءان من فقر ومن سقم بهِ   لولا كمُ اودى بهِ الداءانِ
ان كنت تؤمن بالكتاب وماوعت   آياتهُ من حكمةٍ وبيان
فكن الرفيق البر غير مفاخر   فالرفق برهان على الايمان
لو لم تكن اديانُنا بالعرفِ آ   مرةً اذن لكفرت بالاديان
يا ايها القوم انصروا جمعية   بعلائها تسمو على كيوانِ
هي عصبة الخير الكثير وملجأُ   الدنف الفقير ونخبة الشبان
جمعية اعضاؤُها انتظمت لها   اخلاقهم كالزهر في بستان
فاستعرضوا الازهار طيّبة الشذا   حسناء في الاشكال والالوانِ
وتخيروا اسمى واشرف زهرة   هي زهرة المعروف والاحسانِ
وكفاهمُ منها اشتراك صفاتها   بصفات ربٍّ راحم رحمانِ

---

(١) القاها ناظمها في دار التمثيل العربي ليلة اول مايو سنة ١٩٠٩ اجابة الى اقتراح جمعية تغذية المرضى الفقراء

ولها على زهر الرياض مزية هي انها تبقى مع الازمان
أمنت نضارتها التحول فهيَ في كانون واحدة وفي نيسانِ
ولها شذًا كالزهر يحمل نشرهُ في كل آونة وكل مكانِ
هي بهجة الارواح بل هي قرة الابصار بل هي صحة الابدان
اهديتها شعري وحسبي انني اهديت ما ملكت يدي ولساني
هيهات يقضي حقها هبْ انهُ في كل بيت منهُ عقد جمانِ

نقولا رزق الله

نشوء الحيوان والنبات

لم يشغل العلماء شيء في عصر من العصور ما شغلهم النشوء في القرن التاسع عشر. وهو وان يكن من اوضاع القرنين الاخيرين فالقول بهِ لا شك قديم. اشار اليهِ طاليس وفيثاغوروس في كلامهما عن اصل الاكوان. وذكرهُ غيرهما كثيرون من الفلاسفة في كل زمان. على ان العالم القديم لم يكن في استعداد لهُ فقضى الباحثون القدماء ولم يأْخذ بقولهم احد ومر على العالم قرون عديدة والنشوء كامنٌ لا يتعرض لهُ باحث حتى جاء "كنت" وسويدنبرج فتناولاهُ في بحثهما الفلسفي وبسطاهُ على موائد النقد العلمي. لكنهما لم يخرجا بهِ عن حد البحث النظري. فكان النشوء لذلك باباً من ابواب الفلسفة النظريَّة وبقي كذلك الى ان قام "لامرك" وكشف عن ناموس التباين فادخلهُ في مصاف الابحاث العلميَّة ووضع لهُ سببين كبيرين هما البيئة واستعمال الاعضاء او اهمالها

وكانما كُتب لدارون ان يكون ابا النشوء فتصدَّى العلماء للامرك وإمامهم يومئذٍ كوفيه وفنَّدوا كثيرًا من اقوالهِ الجوهرية. ساعدهم على ذلك ثقة الجمهور العظيمة بكوفيه من جهة وقلة الادلة العلمية لدى لامرك من جهة اخرى فمال الناس عنهُ وقلت ثقة العلماء بهِ. وقام دارون فاثبت تسلسل الانواع وزاد على السببين اللذين ذكرهما لامرك سببين آخرين هما الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي فحيَّر العلماء بقوة حجتهِ وادهش العالم بوفرة الحقائق المؤيدة لآرائهِ. والظاهر ان دارون خشي السقوط في مغبة التسرُّع فلم يتطرَّف الى نكران الخالق ولم يتصلب في آرائهِ المادية ولكنَّ بعض تلامذتهِ لم يقفوا عند هذا الحدّ بل تجاوزوهُ الى ما اسخط العالم عليهم وعلى دارون من اجلهم

ولعمري ان النشوء لا يقتضي انكار الخالق والباحث فيهِ من حيث هو ناموس لا ينبغي ان ينصرف الى ما وراء الطبيعة وما عليهِ الاَّ ان يرى الحقائق الملقاة امامهُ فيبين بها النظام الذي يجري عليهِ الكون من حيث هو جسم تديرهُ القوة المستقرة وراء الافهام

هذا ولقد اقرَّت بصحة النشوء العلماء من كل المذاهب وانما هم مختلفون في الآراء (او التعاليل) الموضوعة لتفسيرهِ . فمن تلك الآراء اللامركية والدرونية وغيرهما وهي لا تخرج عن كونها آراء منها الصحيح ومنها الفاسد . والنشوء لا يصح بصحتها كما انهُ لا يفسد بفسادها فقد يقوم عالم ويرتئي غير ما ارتأى داروين وسبنسر مثلاً فيفسّر النشوء تفسيرًا اجلى من تفسيرهما واقرب تناولاً منهُ ومع ذلك فالنشوء واحد لا يزال يجري على السنن الموضوعة لهُ منذ الازل

ولست ارى من داعٍ للرعبة التي استولت على كثيرين عند سماعهم بالنشوء فان النشوء لا يغير شيئًا من امر الدين الحقيقي . الم ترَ رعبة الامم وسخطهم على العلماء عند اكتشافهم دوران الارض والنظام الشمسي وكذلك خوفهم من ناموس الجاذبيَّة واكثر من ذلك ارتعاد فرائصهم من مسأَلة قدَم الارض ثم ثابوا الى رشدهم ورأَوا ان ذلك غير منافٍ لمعتقدهم وكثير منهم الآن من اشدّ انصار تلك المذاهب . وهذا النشوء لا بدّ من رعبةٍ تلمّ بالسامعين بهِ لاول وهلةٍ ولكنها لا تدوم فيرجع الناس الى رشدهم ويرون فيهِ ما رأَوا في النظام الشمسي وقدَم الارض من قدرة الخالق وحكمتهِ الفائقة الادراك

ما هو النشوء (١)

يراد بالنشوء ثلاثة امور — الاول ان الاحياء في تغير وترقٍّ دائمين بطيئين . الثاني ان هذا التغير يجري بمقتضى نواميس ثابتة . والثالث ان القوى التي تحدث التغير كامنة في مادّة المتغير . اما الاول فعلى ثلاثة اوجه وهي (١) التغير الفردي ومثالهُ تغير البيضة من نقطة ميكروسكوبية الى جسم حيّ ذي اعضاء مستقلة في وظائفها (٢) التغير النوعي ومثالهُ تغير الانواع من بسيط الى مركب فاكثر تركيبًا (٣) التغير الدوري او الجيولوجي ومعناهُ التغير المشاهد في احياء الادوار الجيولوجية وهو من البسيط في السفلى الى المركب فالاكثر تركيبًا في العليا من تلك الادوار

اما نواميس النشوء المعروفة فثلاثة وهي ما يأْتي

(١) ناموس التباين — ويراد بهِ ان الانواع تفرّعت من اصل واحد على نحو ما تتفرّع

---

(١) اكثر هذه المقالة مقتطف بتصرّف من كتاب في النشوء "لجوزف لاكونت" Joseph la Conte

الاغصان من الشجرة . تفرَّعت لتباين فيها زادتهُ البيئة الى درجة اصبحت معهُ انواعاً مستقلة . ومثالهُ في التغير الفردي حويصلة الجنين الاولى فانها لا تزال تنقسم وتنمو حتى يظهر التباين فيها فتصير بعضها عظاماً وبعضها انسجة وبعضها غير ذلك . ومثالهُ في التغير النوعيّ التباين في الاعضاء من البسيطة في الاحياء السفلى الى المركبة الراقية في العليا كالتباين بين جناح الطائر ويد الانسان مثلاً . وليس المراد من النشوء ان الانواع على ما هي الآن نشأت بعضها من بعض فصار القرد انساناً والهرُّ اسداً وصارت الزحافات طيوراً كلاَّ بل المراد ان منشأ الانواع جميعها واحد وانهُ من ذلك المنشإ بدأت الطوائف الكبرى تتباين وتتباعد حتى اصبحت مع الزمان على ما هي عليهِ الآن . فلا يتوهمنَّ متوهم ان النشوء يقتضي ان يصير القرد انساناً او الدجاجة طاووساً او الكلب ضبعاً لان كلاًّ اتخذ في ارتقائهِ طريقاً لا يتعدَّاها الى سواها

(٢) ناموس الارتقاء الاجمالي — ويراد بهِ ان الكون كجسم واحد يرتقي ارتقاء ثابتاً بطيئاً ولقد خبط كثيرون في هذا الناموس فسدَّدوا سهامهم الى مذهب النشوء قبل امعان النظر في معنى الارتقاء الاجمالي . حتى لقد ذهب بعضهم الى فساد النشوء لمشاهدتهم انقراض بعض الحيوانات او تقهقرها وفاتهم مثَل الشجرة فانهُ وان انقرض بعض اغصانها بسبب التنازع الشديد على الغذاء والنور لا يلزم عنهُ تقهقر الشجرة او وقوفها عن النموّ كذلك الكون قد تنقرض بعض اجزائهِ ومع ذلك يظلّ يرتقي ويتقدم بل قد يكون ذلك الانقراض مدعاةً الى التقدم الى ما هو افضل واصلح

(٣) ناموس الترقي الدوري — ولئن كان الكون في نشوئهِ يسير ابداً نحو الكمال فاجزاؤهُ لا تسير في خطوط مستقيمة بل سيرها اشبه بالحلقات اوَّلها آخرها . يقوم نوع من الحيوان فيستولي على عرش القوة ثم ينقضي دور عظمتهِ فيقوم بعدهُ نوع آخر ويأخذ مكانهُ . كانت ذوات الاصداف مالئة الارض ثم غلبتها الاسماك على امرها وقام بعد الاسماك الزحافات ثم الحيوانات اللبونة وآخر الكل الانسان ولا يعلم غير الله كم يبقى هذا الاخير على عرش السلطة

هذهِ هي النواميس التي يجري عليها النشوء اما القوى التي تحدث التغير فموجودة في المادَّة اي انها طبيعيةٌ محضة اما كيفيَّة نشوئها وكيفية وجودها في المادة فمما لا يتناولهُ النشوء اذ هو لا يبحث الاَّ في خصائص المادَّة من حيث هي امور معروفة مشاهدة وكل ما وراء ذلك داخل في حكم الفلسفة النظرية

اسباب التغير والترقي

هذه الاسباب اربعة اثنان ذكرهما لامارك وهما المحيط واستعمال الاعضاء او اهمالها واثنان ذكرهما دارون وهما الانتخاب الطبيعي (بقاء الاصلح) والانتخاب الجنسي. وواضح ان القول بالانتخاب مبنيٌّ على ناموس التباين وان اسباب التباين في الافراد مجهولة لم يجزم العلماء بصحة احدها فاذا ثبت لدى البعض فسادها لم يكن ذلك دليلاً على فساد النشوء نفسهِ فان النشوءَ امرٌ مشاهد لاخلاف في صحتهِ ولكن الخلاف في الآراء التي وضعها العلماء لتفسير النشوء ولتبيان اسبابهِ فليفهم ذلك

التشابه والتماثل

وقبل الاخذ بالادلة على صحة النشوء لا بدَّ لي من بسط الفرق بين هذين اللفظين اعني بهما "التشابه والتماثل". فيراد بالاعضاء المتشابهة ما كانت متشابهةً في الهيئة والعمل لكنها مختلفة في الاصل والتركيب مثالها جناح الطائر وجناح الفراشة فانهما متشابهان في هيئتها الخارجية ولكنهما غير متماثلين في التركيب. ويراد بالاعضاء المتماثلة الاعضاء التي وان اختلفت في هيئتها الخارجية فهي من اصل واحد وتركيب واحد. ومثالها جناح الخفاش ويد الانسان فهما مع اختلافهما العظيم في الهيئة متماثلان في تركيب اجزائهما ووحدة اصلها. ولنضرب مثلاً آخر. خذ الرئة في حيوان برّي (يتنفس الهواء بواسطة الرئة) والخيشوم في حيوان مائي. فترى الشبه بينهما كبيرًا من حيث عملها ولكنك اذا تحرّيت الامر تشريحيًّا رأيت البعد بينهما شاسعاً وظهر لك ان لا تماثل البتة بين هذين العضوين وبعكس ذلك الرئة في الحيوان البرّي وكيس الهواء في الحيوان المائي فان التماثل جليّ فيهما يدلّك على ذلك تاريخ السمك فان ذلك الكيس (الذي لا نفع لهُ في اكثر الاسماك غير المساعدة على التعويم) يرتقي بارتقاء الاسماك من كيس هوائي لا عمل خاص لهُ الى رئة كاملة. وهذا الارتقاء ظاهر في النوع المعروف بالجاربَيك Garpike نوع من السمك حيث يتصل هذا الكيس بالبلعوم فيكثر فيهِ الدم ويساعد قليلاً على التنفس فاذا ارتقيت الى اعلى من ذلك قل الى نوع الدبنوي Dipnoi مثلاً تراهُ قد اتصل بالبلعوم والانف وصار كثير الاوعية الدموية ولهُ اهمية كبرى بالتنفس وبعبارة اخرى تراهُ اصبح رئةً كاملة

واعتبر ذلك ايضاً في نمو الضفدع فترى ان ذلك الحيوان يكون في اول اطوارهِ كالسمك فيتنفس بالخياشيم فاذا انقضى ذلك الطور رأيت الضفدع حيوانًا بريا يتنفس الهواء بواسطة الرئة فكيف ذلك؟ أيعقل ان نقول ان الخياشيم تحولت الى رئتين. كلاً بل الواقع ان

كيس الهواء الذي كان في الضفدع كان يرتقي مدة ارتقاء الضفدع حتى اصبح رئة كاملة وفي الوقت نفسهِ كانت الخياشيم تتقهقر وتنحط حتى امست اثريَّةً لا عمل لها

فالتشابه اذن راجع الى التقارب في الهيئة والعمل والتماثل راجع الى الوحدة في الاصل والتركيب

اذا فهم ذلك فلنتقدم الى الادلة العلمية على صحة مذهب النشوء وهي كثيرة نجتزىء على اربعة

اولها التماثل في بناء الاجسام

ولنضرب لذلك مثلين فقط (اولهما) التماثل في الفقريات . ويراد بالفقريات من الحيوان ما كان لهُ سلسلة من العظام ممتدة من الراس الى اسفل الحوض يقال لها العمود الفقاري . وهي تمتاز عن سائر الحيوان بالامور الآتية

(١) ان لها هيكلاً داخليًّا من العظام تحرّكهُ العضلات من الخارج

(٢) ان لها عمودًا شوكيًا يحتوي على الحبل الشوكي

(٣) ان هذا العامود يتسع من الامام او الاعلى فيؤلف الجمجمة لوقاية الدماغ وذلك لا يوجد في سواها من الحيوان

(٤) ان في هيكلها تجويفين الواحد ظهري لحفظ الحبل الشوكي والثاني بطني لحفظ الاعضاء الداخلية

٥ ان لها اربعة اطراف او قوائم اثنان منها اماميان واثنان خلفيان يستثني من ذلك بعض الاسماك والزحافات الدنيئة

هذا من جهة تماثلها العام فاذا قابلتها عضوًا عضوًا رأيت ثمت اختلافات كثيرة في العمل والهيئة (عدم التشابه) ولكنك اذا امتحنتها جيدًا رأيت التماثل كاملاً فيها مما يدلك على وحدة الاصل في الفقاريات وعلى تفرعها من اصل واحد . واليك بيان ذلك

اولاً في الاطراف الامامية ومعظم الاختلاف فيها واقع في الاقسام الآتية — الترقوة والنتو الغرابي والكعبرة والزند وعظام الرسغ والاصابع . فاذا اخذت الانسان وهو ارقى الحيوانات اللبونة رأيت الترقوة فيهِ كبيرةً والمنكبين عريضين ثم اذا هبطت الى ما دونهُ من الحيوان وجدت الترقوة تصغر رويدًا رويدًا حتى لقد تجدها اثرية في بعض الانواع على ان الترقوة هي هي ايَّان كانت وعدم التشابه ناتج عن اسباب عرضيَّة طرأت عليها . اما النتو الغرابي فعظم مستقل في الطيور والزحافات يتصل باللوح من جهة ويعظم في الصدر من جهة أُخرى وهو صغير

في الحيوانات اللبونة مندمج في اللوح كأنهُ جزءٌ منهُ بل هو في الانسان قسم صغير من اللوح بارز عنهُ قليلاً . كان هذا العظم في الزحافات فورثتهُ الطيور وبقي كبيرًا فيها لحاجتها اليهِ ثم ورثتهُ الحيوانات اللبونة ايضاً ولكن لعدم الحاجة اليهِ انحط فصار صغيرًا غير مستقل عن اللوح . ومما يثبت ذلك انهُ لايزال يظهر مستقلاً في احط الحيوانات اللبونة واغرب من ذلك ظهورهُ مستقلاً في اجنة الحيوانات اللبونة جمعاء . وكذلك الزند والكعبرة فهما في الاصل مستقلان كما نشاهدهما في الزحافات والطيور لكنك تجدهما عظماً واحدًا في المجترات وذوات الحافر والسبب فيهِ على ما يظهر التخصيص اي التقليل من الاجزاء مع الزيادة في شدتها ودليلك ان الزند وهو العظم المفقود عادةً يبقى اثرهُ ظاهرًا محل التحامهِ بالكعبرة

ومن مظاهر التخصيص أعظم الرسغ وهي ثمانية في الانسان لكنك قد تجدها اقل من ذلك عددًا في غيرهِ وذلك لاندماج بعضها في بعض بحيث تصبح قويّة جدًّا على انها تكون ثمانية في اجنة تلك الحيوانات ثم تلتحم بعضها ببعض متى كمل خلقها . بقي علينا عظام اليد والاصابع فقد كانت هذه عديدةً في بعض الزحافات المنقرضة (وهي لا تزال كذلك في السمك) ثم صارت خمسة في الفقاريات ولا تقل عن هذا العدد الأ حيث التخصيص يقتضي الزيادة في قوتها . وكثيرًا ما يبقى للعظم المفقود اثر نستدل بهِ على فعل التخصيص وعلى التماثل التام بين الاجزاء اما الاسماك فلا عضد لها وما ذلك الا لانها اقدم الفقاريات وجدت قبل ان ترتقي الاطراف الامامية الى هذا الحد فبقيت على ما كانت عليهِ

هذا في الاطراف الامامية اما الخلفيّة فالاختلاف فيها اي (عدم التشابه) قائم على ما يأتي — موضع الركبة والكعب — عدد الاصابع — عظم الساق والاسنان . فالذي يرى الركبة او الكعب في الانسان لايرى ثمت من تشابه بينهما وبين الركبة والكعب في الحيوانات العدّاءة ولا سيما المجترات منها من حيث الموضع بالنسبة الى الجسم ولكن هذا الاختلاف لا اهميّة لهُ البتة والظاهر ان المنفعة او الوظيفة التي خلقت قوائم هذه الحيوانات لاجلها اقتضت ان يكون القسم الواقع بين القدم والكعب اطول بكثير مما هو في الانسان ولكن تركيب القوائم واحد والتماثل كامل لمن تحرّى الامر وامتحنهُ

وكما ان ناموس التخصيص القائل بان ازدياد عدد الاعضاء المتماثلة العمل في جسمٍ ما دليل على الانحطاط وان قلتها وصلابتها دليل على الارتقاء ظاهر في اليد كذلك هو ظاهر في الرجل واوضح مثال على ذلك قدم الفرس . قال مارش "كان الفرس في الدور الجيولوجي الايوسيني كالثعلب حجماً وكان لهُ خمسة اعظم وخمس اصابع في اليد وثلاث في

القدم وخلفهُ في آخر ذلك الدور فرسٌ لم تكن لهُ غير اربعة اعظم واربع اصابع في اليد ثم تلاهُ في الدور الميوسيني فرسان وكانا اكبر من اسلافهما حجماً غير انهُ لم يكن لهما غير ثلاث اصابع في القدم واربع في اليد واحد منها اثري . وتبع هذين فرسان آخران بحجم الحمار ففي الاول منهما بدأَ الاصبعان الخارجان يقصران فلم يأْتِ الثاني حتى اصبحا قصيرين جدًّا . وفي الدور الرباعي ظهر الفرس الحديث ولهُ اصبع واحدة هي الحافر على ان آثار الاصابع المفقودة لاتزال ظاهرة مما يدل دلالة واضحة على تدرجهِ في النشوء

هذا هو فعل التخصيص وهو مشاهد ايضاً في عظمي الساق وفي الاسنان وفي كثير من اجزاء الجسم . ولقد تحرَّى الجيولوجيون البحث في ذلك فكشفت لهم المتحجرات عن كثير من الحقائق الراهنة فاذا قرأْت مطولاتهم امكنك ان تعرف تاريخ عدد كبير من الحيوانات التي لم تصل الى هذا الوقت حتى مر اسلافها على تغيرات واضحة كل الوضوح . والذي نستنتجهُ من درس التاريخ الطبيعي ان الطبيعة لا تخلق شيئاً من لا شيء ولكنها اذا اضطرت الى القيام بعمل ما عمدت الى شيء موجود وكيفتهُ بحيث يصير مناسباً للقيام بذلك العمل . كانت الفقاريات الاولى اسماكاً او اشباهها فلم تكن تحتاج الاَّ الى اعضاء السباحة فلما نشأَت الزحافات وصار الاحتياج الى آلة جديدة عمدت الطبيعة الى آلة السباحة وصيرتها تناسب الحيوان الجديد فلما جاء طور الطيور وصار الاحتياج الى اجنحة عملتها لها من الاطراف الامامية وما زالت كذلك تبدل وتغير حتى عملت للانسان يدًا عجيبة في مبناها لكنها لا تفرق عن زعانف السمك واجنحة الطيور ويد الحيوان فرقاً جوهريًا

المثل الثاني — التماثل في الحلقيات

ولنأْخذ الآن طائفةً اخرى من الحيوان نستقرئ فيها الادلة على التماثل

الحلقيات ويراد بها ما يسميهُ الافرنج Articulata وهي حيوانات غير فقارية مركبة من حلقات او مفاصل عديدة . يدخل تحتها الحشرات والسراطين والعناكب والديدان وغيرها . فمما يشاهد فيها ان حلقاتها تقل كلما ارتفع حيوان منها في سلم الارتقاء وتكثر كلما هبط فيها . وهي من هذا القبيل خاضعة لناموس التخصيص الذي رأَينا فعلهُ في قوائم الفقاريات . واليك البيان . خذ حيواناً من هذه الطائفة متوسط المنزلة فترى لهُ احدى وعشرين حلقةً وواحدًا وعشرين زوجاً من الاطراف او القوائم على ان هذه الحلقات والاطراف ليست على وتيرة واحدة بل تختلف باختلاف عملها . فان من الحلقات ما يلتحم بعضهُ ببعض فيتكون منهُ الرأس والصدر والبطن والذنب ومن الاطراف ما يستعمل لتناول الطعام ومنها ما هو للسباحة

والحركة وغير ذلك فاذا هبطنا الى ما دون هذا النوع رأينا الحلقات والاطراف تكثر ويزداد التماثل بينها حتى اننا لنجدها في احط الانواع على تمام التماثل بحيث لا يختلف الواحد منها عن الآخر . وبعكس ذلك اذا ارتفعنا فانا نرى التشابه بين الاطراف والحلقات يقل حتى اذا وصلنا الى السرطان وجدنا جسمهُ قسمين رئيسيين. الحلقات الامامية اندمجت بعضها ببعض فحصل من اندماجها الراس والصدر والخلفية التحمت الواحدة بالاخرى فحصل منها الذنب او القسم الاسفل ثم اذا ارتفعنا الى الحشرات وهي ارقى الحلقيات رأينا التخصيص اجلى واظهر فالجسم هناك ثلاثة اقسام واضحة تتألف من ١٧ حلقةً ٣ للصدر و ٤ للراس و ١٠ للقسم الاسفل . واما الاطراف فانفردت الامامية منها بالحس والطعام والوسطى بالحركة واهملت الخلفية لعدم الحاجة اليها . هكذا نرى التدرُّج في الحيوانات الحلقية — الانواع السفلى منها بسيطة جدًّا ومتماثلة الاجزاء فاذا ارتقى الحيوان قلّت حلقاتهُ وظهر الاختصاص فيهِ . وهذا الناموس ظاهرٌ ليس في الفقاريات والحلقيات فقط بل في كل اسباط الحيوانات وانواعها ناطقًا بوحدة الاصل فيها وشاهدًا على التدرج في نشوئها من البسيط المتماثل الى المركب المختلف

دلائل النشوء في الاجنّة

من الحقائق المقررة في علم الحياة ان الفرد في نموّهِ يمرّ على نفس الادوار التي مرّ عليها نوعهُ . وهاك امثلة على ذلك

(١) في الحيوانات البرّية المائية التي لا ذنب لها ومثالها الضفدع . فان هذا الحيوان يكون في اول اطوارهِ كالسمك فيتنفس بالخيشوم ويسبح في الماء ولو بقي في ذلك الدور لعد في صف الاسماك . ثم يصير في دورهِ الثاني اشبه ببعض الحيوانات البرية المائية السفلى فتظهر فيهِ الاطراف ويتنفس الماء والهواء على السواء . ولا تقف الضفدع عند هذا الحدّ بل ترتقي فتصير بشكل الحيوان المعروف بالسمندل . ولا تزال كذلك حتى تصبح بلا ذنب ويكمل نمو اطرافها . بلغت الضفدع هذا الحدّ بعد ان مرّت على كل الدرجات التي مرّ عليها نوعها من قبلها وذلك ظاهر جلي في الآثار الجيولوجية التي ترينا ان بعض الاسماك القديمة كانت في الدور الديفوني والدور السيلوري الاعلى بشكل الحيوانات المائية البرية وانهُ في الدور الكربوني ظهرت الطائفة الاول المذكورة انفًا ثم في الدور الثلاثي ظهرت الطائفة الثانية وآخر الكل ظهرت طائفة الضفدع

(٢) ومن دلائل النشوء في الاجنّة الاقواس الاورطية . وهي ثلاثة ازواج من

الشرايين تخرج من القلب على هيئة الاقواس . فاذا شرَّحنا ورَلاً (سقاية) رأينا هذه الاقواس تخرج من القلب ثم يتألف منها شريان كبير يجري نحو البطن . ومن الغريب ان هذه الاقواس لا توجد الاَّ في ما دون الوَرَل من انواع الحيوان ويستعاض عنها في الانواع العليا ومنها الانسان بقوسٍ واحدة هي الاورطى الكبيرة . فما تعليل ذلك

تعليلهُ ان الاقواس هي الخياشيم في الحيوانات المائية او الاسماك فوجودها هناك ضروري جدًّا وهي تظهر في الحيوانات المائية البرّية كالخياشيم احيانًا فتتنفس تلك الحيوانات بواسطتها اما وجودها في الزحافات فدليل على ان الزحافات ارتقت من الحيوانات المائية البرية واذا صح ذلك لزم ان تحملها الوراثة الى الطوائف العليا ايضاً فهل لها من اثرٍ هنالك . نعم وهي تظهر جليةً مدة نمو الفرد الى درجة النوع ففي ذلك الحين تظهر الاقواس كما تظهر في الطوائف السفلى لكنها تعود فتتحد بعضها مع بعض وتكوّن قوساً كبيرة هي الاورطى المعروفة في الانسان وغيرهِ من الحيوان ولزيادة الايضاح نقول . وجد المشرّحون ان في « سمكة الحربة » وهي احط الفقاريات (اذا صح ان تدعى فقاريةً) لا اقل من اربعين زوجاً من هذه الاقواس ثم وجدوا ان هذا العدد يقلّ كلما ارتقى نوع الحيوان الفقاري حتى انهم عدّوا منها في السمك المعروف باللامبري Lempray سبعة فقط وفي كلاب البحر خمسة وفي السمك العادي ثلاثة ثم انتقلوا الى الحيوانات البرية المائية فوجدوها كذلك وارتفعوا الى الزحافات فوجدوا في الورل (السقاية) ثلاثة ولم يجدوا غير اثنين في ما هو اعلى من ذلك من الزحافات ثم وصلوا الى الطيور والحيوانات اللبونة فلم يروا غير واحدة باقية على هيئتها الاصلية الموروثة من الطوائف السفلى . اما انها لا تظهر كلها في الحيوانات العليا فدليل على ناموس التخصيص الذي اشرنا اليهِ آنفاً وليس ذلك لينفي عدم انتقالها من انواع سفلى بداعي ظهورها في الاجنة التي تكرر تاريخ النوع في نموها

(٣) ومن اوضح الادلة على النشوء الآلي ارتقاء الدماغ . خذ دماغ السمك فهو مؤلف من خمس عقدٍ وهي النخاع المستطيل والمخيخ وعقدة البصر والمخ وعقدة الشم . انظر في (ش ١) فان ش عقدة الشم م — المخ ب — عقدة البصر خ — المخيخ س — النخاع المستطيل فترى ان مركز البصر اكبر المراكز في دماغ السمك . فاذا ارتفعت قليلاً عن السمك وجدت ان الدماغ باقٍ على حالهِ الاَّ ان المخ يبدأ يكبر فيما فوق السمك من الانواع حتى يصبح في الطيور وقد غطى قسماً من عقدة البصر . وتراهُ في الحيوانات اللبونة غير الانسان يغطي عقدة البصر كلها وقسماً صغيرًا من المخيخ وبعض عقدة الشم . وفي بعض القرود تراهُ

يغطي اكثر المخيخ . اما الانسان فمخهُ يغطي سائر اقسام الدماغ كلها فهو بلا شك ارقى الحيوانات دماغاً . والغريب ان هذا التدرج في نشوء الدماغ ظاهر في جنين الانسان . فان دماغ الجنين الانساني في اول اطوارهِ احط من دماغ السمك وما هو عندئذٍ الاَّ عبارة عن ثلاث عقد هي النخاع المستطيل وعقدة البصر وسرير الاعصاب ثم يرتقي الى ما يشبه السمك فينمو المخ من السرير والمخيخ من المستطيل ويزداد نموًّا فيصل الى الطور الزحافي فالطيري فاللبوني حتى يكمل نموهُ في الطور الانساني . وفضلاً عما ذكر نرى ان تلافيف الدماغ تكثر كلما ارتقى الحيوان فدماغ السمك والزحافات والطير لا تلافيف ظاهرة فيها ثم تبدأُ تظهر في الحيوانات اللبونة وتكثر وتعمق كلما ارتفع النوع في سلم الاحياء حتى تصل الى اسمى حالاتها في دماغ الانسان . وكل ذلك ظاهر في نمو الجنين

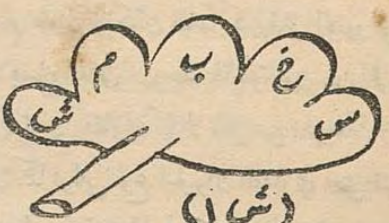

(ش ١)

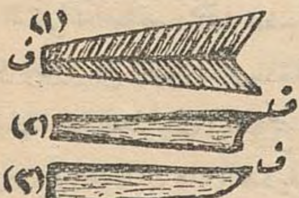

(ش ٢)

ومن الادلة العلميَّة ايضاً اذناب السمك . وهي ثلاثة انواع كما ترى في (ش ٢) فان (١) الذنب الشفعي والعمود الفقاري فيهِ لا يتجاوز الحرف (ف) حيث تتسع الفقرات فينبعث منها خيوط الذنب (٢) الوتري . والعمود فيهِ يمتد الى طرفهِ حيث الحرف (ف) (٣) المستطيل . وهو لا يختلف عن الوتري الاَّ بالهيئة الخارجيَّة

فاذا اخذت سمكة عادية رأيت ذنبها شفعياً ولكنهُ لم يكن كذلك اول ولادتها بل تغير من المستطيل الى الوتري فالشفعي . فلماذا هذا التغير لولا ان الاسماك العادية نشأت من طوائف احط منها ؟ يؤَيد ذلك المتحجرات الجيولوجيَّة فان الاذناب في الاسماك الاولى كانت مستطيلة ثم صارت في الانواع التي فوقها وترية ولما ظهرت الانواع العادية (وذلك في الدور الجيولوجي المعروف بالطباشيري Cretaceous كانت اذنابها شفعية . وشبيه بهذا الارتقاء ارتقاء الاذناب في الطيور فان الاركبتركس Archaeptrex (وهو اقدمها واكثر صلة رحم بالزحافات) كان ذنبهُ كالمروحة والعمود الفقاري فيهِ يمتد الى الطرف . ففي الدور الطباشيري نرى الطيور والعمود الفقاريّ لا يمتد في اذنابها الى ابعد من منتصفها . اما في الحديثة فهو لا يبرز عن الجسم الاَّ قليلاً . على ان الذنب في الطيور وهي في الحالة القمصية

يكون كاذناب الطيور التي عاشت في الدور الجيولوجي المذكور

بقي علينا في هذا الباب الاعضاء الاثرية ولقد بحث فيها غير واحد من كتبنا واخص منهم بالذكر الدكتور امين ابي خاطر فمن اراد الاطلاع على شيء من ذلك فليراجع مقتطف السنة الاخيرة اي سنة ١٩٠٨ فان فيهِ اموراً يجدر بالباحث معرفتها · ولا ريب ان في درس الاجنة مئات من الشواهد الواضحة على النشوء او على تكرير الفرد لتاريخ النوع وانما اكتفيت بهذا النزر القليل حرصاً على اذهان الجمهور من الملل

انيس الياس الخوري

الفضائل

ظهرت في مصر منذ سنين عديدة حركة ترمي الى الاستقلال السياسي والحرية السياسية وهي حركة شريفة يشكر عليها كل مشترك فيها اذا سار في خطة حكيمة رشيدة ولازم التأني والاعتدال ودخل البيوت من ابوابها

ولكن هناك امر لا بد منهُ لبلوغ هذا الاستقلال ويجب على كل محب لمصر الاهتمام بهِ وهذا الامر هو تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس كي تتحرر من عبودية الاهواء وتنال الاستقلال الادبي الاخلاقي

ليس العار ان يكون الانسان خاضعاً لاحكام غيرهِ بل العار كل العار في ان يكون عبداً لشهواتهِ واسيراً لاهوائهِ · لذلك وجب على كل من لهُ لسان ينطق وقلم يكتب ان يعمل لتهذيب الاخلاق وترقية النفوس وتحرير الارادة من رق الشهوات

وقد وجدت من الواجب عليَّ نحو مواطنيَّ الافاضل ان الفت انظارهم لهذا البحث المفيد بسلسلة مقالات عزمت على نشرها على صفحات المقتطف كلما سنحت الفرصة وقد جعلت موضوع هذه المقالات اهم شيء في تكوين اخلاق الانسان وهو الفضائل والبحث في هذه المقالة يتناول (١) تعريفها — (٢) منافعها — (٣) طريقة الحصول عليها — (٤) علاماتها — (٥) تقسيمها

(١)

(تعريف الفضيلة) الفضيلة (لغة) هي المزية وخلاف النقيصة والرذيلة كالمحبة والقناعة ونحوها والدرجة الرفيعة في الفضل · والفضل ضد النقص · والبقية والزيادة

(وخلقاً) هي الملكات الكريمة التي تعصم الانسان عن الرذائل والنقائص وترفعهُ الى اوج الكمال الانساني · بل هي تاج مرصَّع على رؤُوس الفضلاء وصولجان يملكون بهِ

الشهوات ويقمعون بصولتهِ الدنايا والمنكرات

بل هي نعمة انعم الله بها على عبادهِ الصالحين المتقين رفع بها مراتبهم عن بقية بني الانسان وميزهم بها على اخوان الحيوان

(٢)

(منافع الفضيلة) وللفضيلة منافع وفوائد تعجز عن احصائها الاقلام البليغة وعن وصفها الالسن الفصيحة

قال شاكسبير الشاعر المشهور في وصف الانسان انهُ قد يعلو حتى يسمو على الملائكة ويسفل حتى ينحط عن الشياطين والابالسة . وما ذلك الرجل السامي الذي فاق الملائكة نورًا وبهاءً سوى رجل الفضيلة — وما هذا الانسان القبيح المخيف القذر الاَّ نصير الرذيلة

لا ينفع الانسان جمال وجههِ وحسن بزتهِ اذا كان خلقهُ قبيحًا وكانت نفسهُ دنيئة — ما هذه الهياكل الانسانية التي ترونها امامكم سوى مساكن تاوى اليها الارواح فماذا يفيدكم جمال المسكن اذا كان الساكن قبيحًا . وماذا تنفعكم نظافة المأْوى اذا كان الآوي اليهِ خنزيرًا

ان للجسم لذات لا تنكر ولكن الانسان ميَّال للمبالغة فيها — وللنفس والعقل لذات اعظم واكبر ولكن قلة تربية النفوس قللت من قيمتها وحطت من مرتبتها

وليست الفضيلة مانعة للذات الجسدية ولكنها مرتبة لها تحصرها ضمن دائرة الاعتدال والحلال وتمزجها بمزيج التقوى والشرف والعدالة

الفضيلة — تجعل الضمير مطمئنًا والبال هادئًا — الفضيلة تجعل الانسان شاعرًا بانهُ شريف ومحببة للناس وتجلب لهُ احترامهم واعتبارهم حتى لو كانوا من أَلد اعدائهِ

قالوا ان (العدل اساس الملك) واقول ان (العدل مظهر من مظاهر الفضيلة) وان الفضيلة اساس الاجتماع والعمران بل اساس نجاح الفرد ونجاح المجموع

لولا الفضيلة لعم الظلم وانتشر الفساد وساد الكذب والنفاق وتسلط الشقاق والشر . وفاز الشره والطمع ومات العدل وانقرضت النزاهة . واندثر الصدق . واندحر الاتحاد . وقضي على الشرف والعفة والقناعة والصبر والجلد والشجاعة

لولا الفضيلة لما بقي لاحد من بني الانسان صحيفة بيضاء ناصعة بل لكانت كل صحائفهم ملوثة بالفضائح مدنسة بالمنكرات والقبائح

لولا الفضيلة لعقَّ الولد اباهُ وقسي الوالد على بنيهِ . وانكرت الاخت اخاها . وتبرأ الاخ من اختهِ

لو سادت الفضيلة عندنا ولو بين زعمائنا وكبرائنا لما سمعتم باختلال الامن العام ولا بتلك الجرائم والمنكرات . لو سادت الفضيلة عندنا بين قادة الافكار والكتاب والادباء لسرنا سيرًا سريعًا نحو النجاح والارتقاء . لو سادت الفضيلة عندنا بين المعلمين والمعلمات والمربين والمربيات لكان لنا بعد زمن قليل جند من جنود الخير نتقي بهم هجمات الشر وندفع بمجموعهم جيوش المعاصي والموبقات التي اثخنت في الناس جراحًا وسودت وجوهًا كانت قبل ذلك بيضاء

(٣)

طريقة الوصول الى الفضيلة

ورب سائل يسأل اذا كانت هذه منافع الفضيلة فكيف السبيل الى تحصيلها

الجواب على ذلك — كل من سار على الدرب وصل — ان طريق الفضيلة في أولهِ وعر لا بد لصعودهِ من تجشم المشاق والتعرض للاشواك والأدغال والقيظ والبرد القارس ولكن متى سار الانسان فيهِ رأى المصاعب تقل والمشاق تخف وتعودت نفسهُ على مغالبتها ومكافحتها والفوز عليها وفي الفوز لذات لا تنكر . ثم متى قطع قاصدها المرحلة الاولى رأى نفسهُ في خمائل وروض وجنات تجري من تحتها الانهار في مكان مرتفع محاط بالمناظر الطبيعية الجميلة واذا اجال طرفهُ رأى واديًا ضيقًا منحدرًا ملآنًا بالوحول ورأى اناسًا فيهِ يتمرغون بتلك الاوحال ويحاولون الهرب منها والصعود الى فوق ولكن الطريق زلقة والمياه القذرة تنحدر فيها كالسيل الجارف فلا يمكن للذين انحدروا الى هذا القاع ان يصعدوا الى اعلى ويقاوموا هذا السيل العرم

اما (طريق الرذيلة) فانهُ واسع في البداية ترى فيهِ الرياحين والازهار فتشمها ولكنها مسمومة مخدرة للاعصاب لا تلبث ان تسكر الداخل فيتوغل فيها ويأخذ في الانحدار وكلما تقدم في الطريق زاد الانحدار وتكاثرت المياه القذرة حتى تصبح كالسيل فتأخذ الداخلين وتخطف ابصارهم وتعمي بصائرهم وما هي الا عشية وضحاها حتى يروا انفسهم سابحين في بحر من الوحول يستنشقون الروائح الكريهة ويتخبطون في ديجور من الظلام خبط عشواء فاذا لاح لهم وميض برق نظروا الى اعلى فرأوا جبل الفضيلة الشاهق بجناتهِ وانهارهِ وسكانهِ وروائهِ ونورهِ فندموا على سقوطهم في هوة الرذيلة واخذوا يفكرون في الخروج من هذا المازق والتخلص من هذا المضيق ولا خلاص ولا مناص

ما هذه تخيلات واوهام بل هذه حقائق ترونها كل يوم بعين البصيرة ولا اخال واحدًا

منكم لم ينفطر فوادهُ حزنًا على صديق لهُ سقط من عرش الفضيلة الى هوة الرذيلة بعد ان سعى ذووه واصدقاؤُهُ في انتشالهِ فعلينا ان نرسم امام اعيننا خطة الفضيلة ونسير فيها وعلينا ان نحاسب انفسنا كل يوم ونقيس المسافة التي قطعناها ونبحث في اتجاهنا وهل حدنا عن الخط المرسوم ام لا نزال عليهِ

ولكن هل يكفينا ذلك — كلا بل علينا واجب مقدس وهو ان ننظر الى ذوينا ومن هم تحت مراقبتنا ونضع لهم خطة السير ونلاحظهم كيلا يضلوا السبيل . وننظر ايضاً الى مواطنينا ونرشدهم ونناديهم اذا ضلوا ونرجعهم الى الصراط السويّ . واذا عثر احدهم وابتدأ في الانحدار والسقوط فعلينا ان نرمي لهُ حبل النجاة ونرسلهُ اليهِ لكي يتمسك بهِ ثم نجذبهُ الى مكان النجاة والسعادة فليست الفضيلة قاصرة على انقاذ الانسان نفسهُ من الرذيلة بل من الواجب علينا دينًا وشرفًا ومروءة ان لا نبخل على غيرنا بالمساعدة والمعاونة

ومن اهم الطرائق للوصول الى الفضيلة درس مبادئها وتعاليمها والاقوال المأثورة عنها وعن تاثيرها في ترقية الانسان والامتناع عن قراءة الكتب الساقطة المخالفة للآداب والاديان وعن السكر والمقامرة ومعاشرة الاشرار والساقطين لان مكروب الشر كثير العدوى عظيم الخطر. وملاحظة اقوال الفضلاء المعاصرين لنا واعمالهم واستحسانها سرًّا وجهرًا واقوال واعمال انصار الرذيلة وتحقيرها في الخفاء والعلانية واعادة الانسان نظرهُ في كلما قالهُ وعملهُ في يومهِ وتطبيقهُ على مبادئ الفضيلة وتعويد النفس على الارتياح والسرور عند اتيان اي عمل شريف مطابق للذمة والتالم والندم عند اتيان اي عمل دنيء او مخالف للذمة وللضمير والسعي في تطهير النفس من الاميال الدنيئة وغرس الملكات الطيبة والاخلاق الشريفة — والخلاصة ان من واجبات كل فاضل ان يعمل في آخر كل يوم ميزانية اعمالهِ فيضع الاعمال الفاضلة في جدول المكاسب والاعمال والرديئة في جدول الخسائر ومن واجباتهِ ايضاً ان لا يعذر نفسهُ بل يحاسبها على اقل هفوة ويؤنبها اذا ضلت طريق الفضيلة

ولما كان الانسان كثيرًا ما يمنعهُ الغرض عن تمييز حقيقة اعمالهِ فلا بد لهُ من اختيار صديق او اكثر ممن مارسوا الفضيلة والفوها ليراقبوا سلوكهُ ويمحضوهُ النصح فاذا حاد عن الطريق السوي اعادوهُ اليهِ بالموعظة والقدوة الحسنة وحبذا لو وجد الانسان اولئك الناصحين في ذوي قرباهُ فانهم يكونون ابرّ بهِ من الغريب واذا تعذر ذلك فالغريب الفاضل خير من القريب العاطل

(٤)

علامات الفضيلة

للفضيلة علامات — وللرذيلة دلائل

اذا نظرت من بعيد نسورًا حائمة على مكان علمت ان فيهِ جيفة . واذا مررت بمكان وشممت رائحة منتنة علمت ان هناك جثة او اقذارًا او شيئًا متعفنًا

واذا اقبلت على بقعة من البقاع وشممت رائحة زكية علمت ان هناك ازهارًا ورياحين وللفضيلة رائحة عطرة كما ان للرذيلة رائحة خبيثة عفنة منتنة

الشجرة الطيبة تعرف من ثمرها — والشخص الطيب يعرف من اعمالهِ

يحاول كثيرون من الساقطين في مهواة الرذيلة ان يغشوا الناس ويخدعوهم فيسرقون ثوبًا من اثواب الفضيلة ويلبسونهُ ولكن اذا وجه العاقل مناظر البحث الى هذا الثوب وجده يشف عما تحتهُ من الدنايا والارجاس . ولا بد للحق ان يسود الباطل . ان الله يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقًا

من علامات الفضيلة

(١) استهجان الرذيلة وتحقيرها وعدم التماس العذر لصاحبها . لان اكثر الذين يعذرون الرذيلة يميلون في سرهم اليها (ومن كان بيتهُ من زجاج لا يجرأ على رشق الناس بالحجارة)

(٢) قوة الارادة لان الرذائل في هذا العالم جذابة براقة تخدع النفوس الضعيفة وتأسر الارادات الواهنة

(٣) التقوى الحقيقية وهي الاعتقاد بالخالق وبانهُ مدبر هذا الكون وبان شعرة واحدة من راس الانسان لا تسقط بدون اذنهِ . ومن لوازم هذا الاعتقاد السير حسب وصايا الدين

للدين علاقة سببية عظيمة بالفضيلة فقد خلق الانسان ميالاً لارضاء شهواتهِ واهوائهِ فلا يمنعهُ عن المعاصي والدنايا سوى خوف احتقار الناس اياهُ وخوف العقاب

اما احتقار الناس وعقاب القانون فاجتنابهما ميسور بالتستر لذلك تجد كثيرين ممن يدعون الفضيلة يرتكبون اعظم المحارم والآثام سرًا — واما العقاب الالهي في الدنيا والآخرة فهو الرادع الاكبر للمتقين الحقيقيين

(٤) معاشرة انصار الفضيلة والابتعاد عن اشياع الرذيلة

عن المرء لا تسال وسل عن قرينهِ فكل قرين بالمقارن يقتدي

كل من يميل الي احتكاك بساقط لا بد ان يكون ساقطاً — وكل من يبتعد عن الادنياء ومعاشرتهم ومخالطتهم و يتقرب من الاتقياء والفضلاء لا بد ان يكون تقياً فاضلاً

واحذر معاشرة اللئيم فانهُ يُعدي كما يعدي السليم الاجربُ

(٥) الابتعاد عن اسباب المعاصي — لان النفس امارة بالسوء واحسن طريقة لاجتناب الخطر اتقاء اسبابهِ والابتعاد عنهُ وعدم التعرض لهُ — فقد تكون خطوة واحدة في ارض كثيرة الزلق سبباً في وقوع صاحبها في هوة الهلاك

ومن اسباب المعاصي — المسكرات — والمقامرة — والاستهتار بالصغائر الذي يؤدي الى الكبائر

(تقسيم أَهم الفضائل)

عرفنا الى الآن ما هي الفضيلة وما فائدتها — وما هي طريقة الوصول اليها · وما هي العلامات الدالة عليها · وبقي علينا ان نبحث في تقسيمها

تنقسم الفضائل الى قسمين

فضائل اصلية وهي عبارة عن امهات الفضائل — وفضائل فرعية وهي ناشئة من الاولى والفضائل لاعداد لها ولكننا سنقصر الكلام على اهمها وهي :

ا (الاستقامة) فضيلة اصلية و يتفرع منها (١) الصدق (٢) الوفا (٣) الامانة (٤) والعدل

ب (العفة) و يتفرع منها (١) القناعة (٢) التقشف (٣) الزهد في الدنيا

ج (المحبة) وتتفرع منها (١) المودة (٢) الشفقة (٣) النجدة (٤) المروة (٥) والاحسان للفقير

د (الشجاعة) و يتفرع منها (١) الاقدام (٢) الصبر (٣) الجلد (٤) قهر النفس وهو اعظمها

وموعدنا المقالة التالية وموضوعها (الاستقامة) (نجيب شقرا)

عبد الحميد في نظر الطب

بحث فزيولوجي بسيكولوجي (١)

اذا كان في مستطاع الطب اليوم ان يحكم في اخلاق مشاهير الرجال الغابرين وسائر اطوارهم بسيكولوجيًا وفزيولوجيًا بالنظر الى علاقتها بحالاتهم العصبية من نفس افعالهم التي وصلت الينا من خلال التاريخ في القرون البعيدة كموسى وعيسى ومحمد من الانبياء والاسكندر ونابليون من الفاتحين وتيمورلنك ونيرون من الجبابرة السفاحين فبالاولى ان يستطيع ذلك في الرجال الحاضرين بقطع النظر عن درس طباعهم ومراقبة حالاتهم العصبية عن قرب بل من مجرد البحث في افعالهم فقط

لا ريب في ان عبد الحميد من اشهر مشاهير هذا العصر وسيعدُّ لهُ التاريخ صفحة كبيرة. والشهرة لا تدل دائمًا على العظمة وكبر الصفحة ليس دائمًا دليل المجد

ان عبد الحميد بين ملوك هذا العصر يكاد يكون نادرةً لا لانهُ لم يقم لهُ شبيهٌ في التاريخ الماضي او لا يوجد لهُ شبيهٌ في التاريخ الحاضر. فان جميع الملوك في الماضي البعيد كانوا مطلقي الايدي مستبدين ارادتهم قوة تشريعية وتنفيذية معاً. وملوك الصين اليوم ليس فوق سلطتهم سلطة يرضخون اليها. بل لانهُ كان سلطان مملكة شاغلة اهم بقعة في الارض بمركزها الجغرافي ذات شعوب متباينة من حيث التربية والاستعداد. فبينما هي في اقصى الهمجية في بعض الجهات اذا هي تفقهُ ارقى مزايا المدنية في بعض الجهات الاخرى. وبينما هي من اصول نشأت في حضن الحكم المقيد في بعض الاقوام اذا هي لم تعرف غير الحكم الاستبدادي في بعض الاقوام الآخرين. قال ابقراط. «ان اهل اوربا تحكمهم شرائعهم واما اهل اسيا فتحكمهم ملوك». والمملكة التي كان يحكمها عبد الحميد تمتد املاكها في هاتين القارتين. ونظرًا الى مركزها هذا المتوسط في قلب الممالك والذي هو الصلة بين الشرق الاقصى والغرب الاقصى هي مرتبطة ارتباطًا شديدًا بمصالح الامم الاخرى مما يجعل امرها ذا شأن عظيم جدًّا في امور تلك الامم وممالكها بحيث لا يمكن لهذه الامم ان تنصرف عن الاهتمام بها اهتمامًا كليًا حيويًا لحفظ كيانها سليمًا من الطوارىء والامم المتمدنة على قيد شبر منها. ومع كل ذلك فعبد الحميد استطاع ان يعيش كل مدة حكمهِ سلطانًا مطلقًا دائسًا

---

(١) اي من حيث حالة الاعصاب وافعال العقل

على كل الشرائع الوضعية حتى الالهية نفسها وان يكن قد تذرع بهذه الاخيرة احيانًا كثيرة الى تأييد حكمهِ ودعمهِ بدعائم دينية قوية

يقول جمهور الاخلاقيين اليوم ان عبد الحميد تمكن من كل ذلك لانهُ على جانب عظيم من الذكاء والدهاء حتى اجاز على رعاياهُ وسائر الامم فوز اغراضهِ وسيتبعهم في هذا القول المؤرخون ايضاً بلا ريب بل هو في نظر البعض اعظم داهية في هذا العصر ويريدون بهذا القول انهُ ذو مدارك عقلية فائقة • ولا ينكر عليهِ ان قواهُ العقلية مترابطة في مراميها متناسقة في استنباطها وانما هذا وحدهُ لا يجعلهُ في مصاف اصحاب العقول الكبيرة حقيقة الاَّ في نظر الذين يحكمون في اعمال العقل بالنظر الى جسامة الحوادث المترتبة على تدبيرهِ بقطع النظر عن ماهية الحوادث المترتبة على هذا التدبير

عبد الحميد يعتبر اليوم في قوة فهمهِ اعظم ممثل للذكاء الشرقي الفطري الذي قضت عليهِ التربية العلمية الحديثة وفي سلوكهِ اعظم ممثل للسياسة القديمة الشرقية المكتسبة من تربية الشرق الاجتماعية والتي كان آخر ممثل عظيم لها في الغرب السياسة البزماركية مع الفرق بان السياسة البزماركية لم تتذرع بتلك الاسباب المشجوبة الاَّ للتوصل الى النتائج الحميدة في مصالح المملكة العامة . واما سياسة عبد الحميد فواحدة في التناسب بين اسبابها القريبة ونتائجها السيئة البعيدة غير قاصد فيها الاَّ مصلحة نفسهِ الخاصة

عبد الحميد ورث عن اجدادهِ ومجتمعهِ طبائع مختلفة فهو نسيج من اخلاق الجبان الحاذر والمداجي الماكر والغليظ القلب القاسي وهذه الصفات وان كانت عامة في جميع الامم الاَّ ان الشرق هو الاسبق فيها لنوع احكامهِ المطلقة كما تقدم • وهذا يؤثر في اخلاق الامم تأثيرًا سيئًا اقلهُ ذل النفوس واتقاء الشر بانواع الحيل ولا يزال السابق فيها حتى اليوم لفقد العلم منهُ • واكتسب من نوع تربيتهِ البيتية التي شبَّ فيها كالسجين بين جدران قصرهِ قلة ثقتهِ بغير نفسهِ وحذرهُ من كل من سواهُ واعتقادهُ الراسخ فيهِ ان مصلحتهُ لا تتفق مع مصلحة غيرهِ • وتربيتهُ العلمية لم يكن فيها شيءٌ ينزع منهُ مثل هذا الاعتقاد ويزيل منهُ تلك الاثرة الناشئة عن تربيتهِ العرفية المتسلسلة ابًا عن جد والمحفوظة في قلوب حاشيتهِ ومهذبيهِ والمنقولة اليهِ بلسانهم من ان الملك الذي سينتقل اليهِ انما هو لهُ وحدهُ لا لله ولا للناس فلا مصلحة من ورائهِ الاَّ مصلحة نفسهِ وليس في علمهِ واختبارهِ نظرًا لمعيشتهِ المنقطعة عن العالم ما يرشدهُ الى ان مصلحة نفسهِ تكون اضمن واجل اذا اتت من وراء مصلحة امتهِ

والملوك الذين يتربون هذه التربية لا يستغرب منهم انهم يخالفون في سياستهم وسلوكهم مع رعاياهم المعقول والمنقول بل العجب منهم ان يسلكوا هذا السبيل السوي لمصلحة الرعايا انفسهم . ولذلك كان كل الملوك الذين تربوا هذه التربية في كل العصور وفي كل الممالك ينشأون على هذه الاثرة وهذا الترفع عن سائر الناس وقلة الاعتداد بهم الاَّ لاغراضهم . لاذمام لهم غالباً ينكثون عهداً ولا يحفظون ودًّا . حتى انك لترى صحة هذا القول في تربية ملوك اوربا الراقية اليوم بحسب درجة تقيدهم بامتيازاتهم او انطلاقهم منها فان نعرة تلك الامتيازات لا تزال تعمل فيهم عند اقل عارض يعرض لهم كانهم في اعتقادهم من طينة فوق طينة سائر الناس ولا ريب ان ارقى الملوك اليوم علماً واختباراً هو ملك الانكليز الحالي لانهُ اختلط بالناس كثيراً قبل ان تبوأَ عرش الملك فهو اقرب الى عامة الناس منهُ الى آلهة الملوك واعرف بطبائعهم فهو اقرب الى رؤساء الجمهوريات المنتخبين من الشعب منهُ الى الملوك النازلين من نخذ جوبيتر

وما عدا هذه الامور العامة فان هناك اموراً خاصة اتفقت لعبد الحميد جعلتهُ في منتهى الخوف والحذر والامتناع عن مخالطة الامة وهي تبوُّءُهُ الملك بعد خلع سلطان قُتِل او انتحر وآخر جنَّ او استجنَّ وحصول كل ذلك بمساعي طائفة من اصحاب النفوذ ما زالت محيطة بهِ في اول الامر . ورأى تلك العبر فاشتدت بهِ المخاوف من كل من حولهُ ولم يعد يرى في المقرَّبين منهُ الاَّ كل يد اثيمة . واشتد حذرهُ من كل شيء حتى من الهواء الذي يستنشقهُ والماء الذي يشربهُ والطعام الذي يأكلهُ . ووقع من جراء ذلك في حالة عصبية تهيجية اشبه شيء بوسواس المضطهدين فلم يكن لهُ هم سوى التفكير في وقاية نفسهِ والتخلص من كل من توهم انهُ سبب في الانقلاب السابق وان وجودهُ خطر عليهِ . وقد احسن التدبير حتى فتك باولئك المقربين متدرجاً من العزل فالابعاد فالنفي الى القتل وحتى انهُ قلب النظام الجديد الذي كانوا قد وضعوهُ واعاد النظام القديم

ولكن وسواسهُ الاضطهادي لم يقف بهِ عند هذا الحد بل استمرَّ بهِ على تزيد فلم يأمن على نفسهِ حتى من النظام القديم الذي كان معمولاً بهِ على عهد سلفائهِ والذي يجعل الحكومة في ايدي رجال مسؤُولين . ولم يطمئن لهُ بال حتى جعل كل شيء في يده فقلبهُ شيئاً فشيئاً حتى صارت ادارة الاحكام كلها لهُ وصارت موارد الدولة كلها ترد الى خزينتهِ فاستخدمها لقضاء مآربهِ صوناً لحياتهِ يغدقها على هذا المقرب ويقصي بها ذلك المبعد ويتخلص من ذلك الذي اشتدَّ قلقهُ منهُ . يضرب الواحد بالآخر حتى يكون الواحد رقيباً لهُ على

الآخر . ولم يقتصر بهِ ذلك على رجال الوظائف الادارية بل اشتدَّ بهِ الوسواس حتى لم يعد يأْمن على نفسهِ حاشيتهُ التي تقيم معهُ في قصرهِ ولا خدمهُ الذين يخدمونهُ ولا نساءهُ انفسهن فكان يستعمل معهم جميعهم نفس سياسة التفريق التي كان يستعملها بين رجال دولتهِ . ولم يكن يستنكف ان يقتص منهم بنفسهِ حتى لم يكن يفارقهُ مسدسهُ يقتل بهِ ايًّا كان منهم لحركة تصدر منهُ توقع عندهُ الريب فيهِ . وما اسرع تسرُّب الريب اليهِ وكم قتل بهِ ابرياء لمجرد الوهم فقط حتى انهُ قتل يومًا ابنتهُ الصغيرة لانها استغفلتهُ ورأت على طاولتهِ مسدسًا فاخذتهُ لتلعب بهِ شأن كل الاطفال فتوهم انها مغراة على الفتك بهِ فأَودى بها وهو مع ذلك كان يحبها محبة شديدة وانما الوسواس الاضطهادي كان بهِ اشد من ذلك الحب الابوي فهو مغرًى بهِ ومدفوع الى العمل بموجبهِ بقوة تفوق كل عاطفة أُخرى

ثم اشتد بهِ هذا الوسواس حتى تجاوز بطانتهُ الى مجموع الامة كلها فاقام بعضها على بعض والقى العداء بينها بحجة الدين يستميل بذلك قومًا ويرهب آخرين ويشغل البعض بالبعض بالمجازر التي امها في اول الامر وجلاً قتلاً في الافراد ثم الفها مذابح في الجموع حتى صار الفتك بهِ طبيعة . وخاف من كل واحدٍ من افراد الامة فجعل بعضها جواسيس على بعض . وصادف من الامة أَعوانًا خونة لقضاء اغراضهِ في سبيل مخاوفهِ حتى لم يعد يأْمن الواحد على نفسهِ من اهل بيتهِ أَنفسهم . وهو كلما زاد ايقاعًا بالامة زاد استهواء في وسواسهِ واسترسالاً في استنباطهِ اساليب الشر الوافية وليس يبعد ان تكون الحال قد انتهت بهِ الى انهُ لم يكن يستطيع ان يفكر كيف انهُ سيمضي وفي المملكة بعدهُ ديَّار ونافخ نار لان هذا الضرب من الوسواس معهود خصوصًا في اصحاب السلطان كنيرون رومية الذي احرقها ليقوم وحدهُ متفرجًا عليها

وربما كان في اول الامر يتأثر بعض الشيء من القتل لانهُ لم يكن يقدم عليهِ بتلك العزيمة التي لم تعد بعد ذلك تعرف حذرًا ولا ندمًا والتي اشتدت بهِ في مجازر ارمينيا وكان في نيتهِ اخيرًا ان يشبك المملكة كلها بها غير مقدر العواقب فيها لولا انها نشبت بفعل التقادير قبل ان نضجت معداتها كلها كما كان يرغب والتي لو تمت لكان بها القضاء التام على المملكة . وذلك لميلهِ هذا الى الفتك اكثر مما الى استرجاع نفوذهِ المطلق الذي فقدهُ بالنظام الجديد لان مثل هذه الحالات العصبية التي تدفع الانسان الى القتل لمجرد القتل فقط كثيرة نشاهد حتى في النساء الوديعات فيقتلن الاطفال ويتسترن وربما بكينهم بعد ذلك . ويشاهد ايضًا في الامهات انفسهنَّ فيقتلن اولادهنَّ يفعلن ذلك مع اتخاذ كل

الاحتياطات اللازمة ليجعلن المقدمات تنطبق على النتيجة مما يحمل على الاعتقاد بان قواهن العقلية سليمة وهي على هذا الحال من الخلل

ولا يعقل ان يكون الامر بعبد الحميد غير ذلك والاَّ فلو كان الدافع لهُ على هذا التدبير الاخير استرجاع ما فقدهُ من النفوذ فهو لم يفقد بالحقيقة بعد الانقلاب الاول الاَّ متاعب الملك وتوفرت لهُ كل امتيازاتهِ الحسنة حتى كاد الناس يتناسون مساوئهُ الماضية مما يحسن بكل عاقل الاستمساك بهِ لا سيما وان هذه الطريقة لم تكن مأمونةً لنيل ما يتوخاهُ بها من ذلك بل كل عاقل يرى بها زوال سلطتهِ ومملكتهِ وتعريض حياتهِ للخطر ايضاً وهو في اعمالهِ الماضية لم يأتِ عملاً يكون من ورائهِ مثل هذا التعريض بحياتهِ حتى انهُ لما رأى ان لا قبَل لهُ بالمقاومة في اوائل الانتقاض عليهِ سلم بكل مطالب الامة معتذرًا بان الخونة هم الذين كانوا يحولون بينهُ وبين هذه المطالب التي كان يرغب فيها من كل قلبهِ · وما فعل ذلك الاَّ حرصاً على حياتهِ لاعتبارهِ ان السلطة التي فقدها بذلك ليست مما يستمسك بهِ ما دامت غايتهُ الكبرى من سلامتهِ متوفرة لهُ فكيف ينكث اخيرًا العهد الذي اعطاهُ على نفسهِ ويحنث باليمين التي اقسمها وسلطتهُ لم تمس في جوهرها · فلو لم يكن حب سفك الدم هو الذي دفعهُ الى ذلك منقادًا اليهِ بتلك الهواجس ومدفوعاً اليهِ بذلك الميل المكتسب الذي تأصل فيهِ وصار من طبعهِ لغير غاية الاَّ غاية سفك الدم لما اقدم على هذا التدبير وغرَّر بنفسهِ الى هذا الحد وهو غير آمن من العواقب ولا هو مضطر

فمدارك السلطان عبد الحميد كانت كل ايام حكمهِ منصبة لخدمة هواجسهِ وهي من هذا القبيل كانت محكمة ممتازة متناسبة تامة الارتباط بين المقدمات والنتائج كما في كثيرين من اصحاب الوساوس الذين ينحصر وسواسهم في موضوع واحد. وكما ان هولاء لا يعدون من اصحاب العقول الكبيرة فهو لا يفضلهم ايضاً وان كان قد سلم لهُ ثلثا ملكهِ مدة حكمهِ بخسارة الثلث فقط فليس ذلك لحسن تدبيرهِ وحصافة رأيهِ بل لاختلاف مصالح الدول الطامعة · واذا كانت الامة قد صبرت عليهِ كل هذا الزمان الطويل وهو يعيث ويخرب فليس من حسن تدبيره بل لان اختلاف اجناسها وأديانها ولغاتها وجهلها ساعدهُ عليها

فاذا نظرنا الى الاسباب التي حفظت عبد الحميد سلطاناً على هذا الملك المتداعي الذي ارهقهُ كل هذا الزمان الطويل فهي من قبلهِ اسباب سلبية فقط اذا جاز لنا ان نستعمل مثل هذا التعبير وما عهدنا بان ذلك من صفات العقول الايجابية · واما الاسباب الايجابية الفعلية فهي خارجية من تنافس الدول وداخلية من حالة تربية الامة الاجتماعية

هذه هي حالة عبد الحميد البسيكولوجية الفزيولوجية مع امتهِ مستنتجة من افعاله مدة حكمهِ الطويل فما بالك بالامة التي كان هذا سلطانها المطلق مدة ثلاث وثلاثين سنة والتي لا يزال كثيرون منها اليوم يبكون حسرةً عليهِ ! — واما ماذا يكون من امرهِ بعد اسرهِ فقد تتغير اطوارهُ من الضد الى الضد ويذوق راحة من هواجسهِ لم يعرفها من قبل . اذ ليس علاج انجع في مثل هذه الوساوس من الانتقال بصاحبها من مركز الى ضدهِ وان لم يكن بالعلاج الشافي دائماً . اما مسؤليتهُ الحقيقية من وراء كل ذلك فمختلف فيها وفي نظرنا انهُ اذا كانت المسؤولية الادبية تجد مخففاً لها عنهُ من حالتهِ هذه فالرزايا المادية التي لحقت بالامة من جرائها تبعتها في مثل هذا الموقف تلتصق بالامة وحدها لان المال السائب يعلم الناس الحرام . وقد تحملت الامة عاقبة جهلها . واما المسؤلية الحقيقية فعلى الدول الراقية المسؤلة وحدها لدى الانسانية المتضامنة

الدكتور
شبلي شميل

نيتشه وابن الانسان (1)

اصدرت الجمعية اليوجنية (Eugenics' Society) مجلة شهرية الغرض منها نشر ما يعرف عن العلوم اليوجنية بين الشعب وحمل الحكومة على جعل قوانينها منطبقة على مبادىء هذا العلم الجديد

اليوجنية علم وضع اسمهُ المستر فرنسيس غلتون رئيس الجمعية اصولهُ مأخوذة من قوانين علم الحياة وغرضهُ منع العوامل التي تؤول الى اضعاف النسل كمنع زواج اصحاب العاهات الوراثية — وتقوية العوامل التي تؤول الى تحسين النسل كتشجيع الزواج بين اصحاء الاجسام والعقول . وهذا كلهُ مبني على قانون دارون : بقاء الاصلح والانتخاب الصناعي . ويتوقف نجاح الجمعية طبعاً على ميل الامة الى تحسين نسلها وما يشاهد من رواج بيع مجلتها الجديدة يدل على قوة هذا الميل

وليس غرضي شرح الطرق التي ستتخذها الجمعية للوصول الى غايتها من تحسين النسل وانما ذكرت خبر هذه النهضة مشاهداً على اهتمام الامة الانكليزية بنسلها وتنبيهاً للقارىء الشرقي الى مستقبل بلادهِ . وغرضي من هذه المقالة شرح فلسفة جديدة لاحد فلاسفة

Nietzche's "Thus spake Zarathustra," and Ludovici's "Who is to be master of the World." and "Man and Superman" by G.B. Shaw."

الالمان فردريك نيتشه اضعها اولاً في سوءالين ثم اشرحهما

الاول : اذا صح ان الانسان قد تناسل من حيوانات ادنى منهُ افلا يصح ان يتناسل منهُ حيوان ارقى منهُ

والثاني : ما هو الطريق المؤدي الى جعل نسلنا يفوقنا جسماً وعقلاً كما نفوق نحن الحيوانات التي تسلسلنا منها

١ تأثير دارون في اعتبار الانسان

كان لظهور كتاب دارون في سنة ١٨٥٧ رجة عظيمة بين العلماء اذ غيَّر مجرى الافكار في اعتبار الاحياء وبيَّن اجمالاً اشتراك الحيوانات في اصل واحد كما اوضحتهُ بعدهُ كتب العلماء الذين تبعوهُ . ولكن دارون لم يذكر في كتابهِ هذا ادلة على اصل الانسان الحيواني بل ترك ذلك الى ان جمع الادلة الكافية في كتاب "اصل الانسان" حيث اوضح تسلسل الانسان من الحيوان . ونظرية النشوء التي قال بها دارون وبنى عليها كل استنتاجاتهِ اصبحت اليوم من الامور المسلمة — حتى ان الكنيسة الانجليزية وافقت عليها في مؤتمرها العام الماضي في لندن

فنحن نفهم الآن بنظرية النشوء ناموساً طبيعياً جرى عليهِ جسم الانسان فوصل الى ما هو عليهِ الآن وقد جرت عليهِ كل الحيوانات فاحيا منها ما احيا واباد ما اباد وأهم قوانين النشوء هو " بقاء الاصلح " فالانسان بقي والميجاثيريه انقرضت لان الانسان كان صالحاً للوسط الذي عاش فيهِ وأما الميجاثيريه فلم تصلح لهُ . ولكن كيف وصل الانسان من الحيوانية الى الانسانية ؟

وصل الى ذلك بالانتخاب الجنسي . فالانثى تنتخب القوي الجميل من الذكور على ما ترشدها طبيعتها والقوي يمنع الضعيف من التناسل بحيازتهِ المرأة الجميلة

فالمرأة بصفتها واسطة لتكثير الجنس وبصفتها جائزة للقوي من الرجال ولدت القوي من الجنس وأبادت الضعيف منهُ

ولكن لماذا لا يتغير الانسان اليوم ؟ لماذا نرى الشبه شديداً بين موميات المصريين القدماء وبين أقباط العصر الحاضر ؟

فالجواب اننا وقفنا ضد الطبيعة . وأذا ظللنا نقف أمامها فذريتنا ستكون كاسلافنا بلا فرق ولا تغيير . فنيتشه الفيلسوف الالماني قضي عمرهُ يوضح أغلاط الانسان في وقوفهِ أمام الطبيعة ويبيّن الطريق المؤدي الى العودة الى الطبيعة حيث نجري حسب نواميسها

٢ كيف الوصول الى ذلك

آداب الامة أو القبيلة وأخلاقها موضوعة لغرض ما فان بطل الغرض بطل الداعي للاداب والاخلاق . ولكن اذا تقادم العهد على قوانين هذه الآداب الاجتماعيَّة يغفل النظر عن الغرض منها وتصير تتبع اتباعاً اعمى . وبعض هذه القوانين طبيعي لا يمكن ابطالهُ وبعضها اجتماعي يمكن ابطالهُ متى بطلت فائدتهُ . فمن الطبيعي مثلاً التزاوج ومن الاجتماعي الزواج . ومن الطبيعي حب القوة ومن الاجتماعي الشفقة على الغريب أو الضعيف

فاذا نظرنا الى فضيلة الشفقة على صاحب العاهة كالأبله او المقعد او المولود اعمى . هل نحن محقون في شفقتنا عليهم بعد ان عرفنا قانون الوراثة ؟ هل من الفضيلة ان نقدم لصاحب العاهة وسيلة يكثر بها نسلهُ ؟ نعم انهُ من الفضيلة والانسانيَّة ان نقدم لهُ مسائل الراحة ولكن من الجرم ان نسمح لهُ بالزواج وتكثير اصحاب العاهات الوراثية

وقد بيَّن نيتشه ان اصل الآداب حب القوة . وان في الامة دائمًا نوعين من الآداب وهما في عراك دائم . الاول " آداب السيد " التي يرغب القوي في ان تعم لانها تزيدهُ قوة والثاني " آداب المسود " التي يرغب الضعيف في ان تعم لانها تزيدهُ قوة . وضرب لذلك مثلاً العصفور والصقر فمن مصلحة الصقر ان يأكل العصفور ومن مصلحة العصفور ان يموت الصقر جوعاً ثم استنتج من ذلك ان الآداب العصرية المتبعة هي آداب الضعيف التي تمنع القوي من الظهور ومن تكثير نسلهِ كالزواج بواحدة والشفقة على الضعيف ولذلك قاوم الديانة المسيحيَّة لانها زعيمة هذه الآداب . وقال ان واضع هذه الآداب هو الضعيف فهي تؤول الى تخليد جنسهِ والغاء الجنس القوي فاذا استمرت سائدةً ضعف الجنس البشري وربما انقرض فاذا اردنا تحسينهُ وجب علينا ان نقلب ميزان هذه الآداب اي يجب ان نجعلها تؤول الى تخليد الجنس القوي وأبادة الجنس الضعيف

ولا يتصور القارئ ان نيتشه يطلب منا ان لا يحب الضعيف ولا يحسن اليهِ وانما يطلب ان لا نكثر جنسهُ والفرق كبير بين الامرين

٣ ابن الانسان

من اقوال برنارد شو الفيلسوف الانجليزي الذي تبع نيتشه في فلسفتهِ عن " ابن الانسان " Ecce Homo انهُ يسوءُنا ان نرى الابناء مثل الآباء في قوة عقولهم فان هذا دليل على عدم وجود التقدم

لما هدم الانسان اديانهُ القديمة بمباحثهِ المنطقية والعلمية ورأى ان النعيم الذي صورهُ

لهُ الانبياء خيال وضاع املهُ من آخرة يحاسب فيها ويكافأُ اسقط في يدهِ ويئس من الحياة حتى قال شوبنهور اننا لو عقلنا لانتحرنا

ولكن جاءنا بعد شوبنهور نيتشه ونجانا من هذه اليأس . قال صحيح اننا نموت وتنحل اجسامنا ولكن امامنا مجد عظيم . انظر كيف اخرجت الطبيعة من شبه القرد القبيح ذلك الانسان الجميل . فمجدنا اذن يجب ان يكون في اخراج ملاك من الانسان ولذلك يجب ان تكون قبلتنا ابن الانسان . فالانسان ليس تاج النشء ويجب ان نفسح للطبيعة حتى تطبق نواميسها علينا . فانهُ من العار على الانسان ان يحسن نوع خرافهِ وطيورهِ ولا يحسن نوعهُ . واذا لم تكن الآداب واسطة لسعادة الشعب وجب تبديلها لانها جعلت آلة للوصول الى السعادة

فالانسان ورث من اصلهِ الحيواني كثيرًا من الصفات والاعضاء الذي تقف في سبيل سعادتهِ . فهو عرضة لالتهابات الزائدة التي ورثها من الحيوانات اسلافهِ ومكروبات السل والدفتيريا والطاعون والكوليرا وكثير غيرها تنغض عيشهُ . فهل يحسن بنا ان نترك لذريتنا هذه الامراض من غير ان نعمل شيئًا لنجاتهم منها ؟ يظهر فينا من آن الى آن نابغة في الفكر فنعبدهُ في حياتهِ ولكنهُ قد يموت بلا نسل امام اعيننا . اذا رأينا راعي الغنم ينتقي الكبش القوي لتكثير نسلهِ بين الخراف اعجبنا بفراستهِ واذا قام فينا رجل وطلب منا ان نعتني باولادنا كما نعتني بالخراف هزأْنا بهِ وعددناهُ ناقصًا في آدابهِ كما عدَّ نيتشه . قال برنارد شو ما معناهُ :— اذا فرضنا ان قطيعًا من الغنم يحوي مئة نعجة ومائة كبش وان نصف هذه الكباش قوي والنصف الآخر ضعيف وان راعي هذا القطيع منع القوي من ان يستأثر بالنعاج وقسمها بين الاقوياء والضعاف على التساوي التناسل بالتساوي بين الجنسين الضعيف والقوي . فماذا تكون النتيجة بعد عشرين او ثلاثين جيلاً اضعاف القطيع او تقويتهُ ؟ فالقارئ يفهم اذن السر الظاهر في انتخاب اقوى الغنم للتناسل

ولكننا اذا علمنا ان قانون الانتخاب الذي يطبقهُ راعي الغنم في غنمهِ غير معمول بهِ في الانسان فهمنا مصير المجتمع الانساني . زد على هذا قانونًا طبيعيًا بيَّنهُ سبنسر في اصول علم الحياة خلاصتهُ انهُ كلما علا الانسان في سلم النشوء قلت قوتهُ على اخلاف النسل ومعنى هذا ان العناصر العالية فينا اقل قدرة في تخليد جنسها من العناصر الواطئة ولعل هذا سبب قلة المواليد في الامم الراقية عنها في الامم المنحطة

لندن

سلامه موسى

الثورة الادبية(١)

ايها السادة والسيادات

قبل ان ابدأ بالكلام اطمئنكم ألا اكلمكم هذه الليلة بالرموز والالغاز · بل في نيتي ان اجرد الاشياء من زيناتها · واسميها باسمائها · فان ذكرت العقاب مثلاً لا تظنوني اشير الى شيء خفي تحتهُ او فوقهُ او وراءهُ او فيهِ · بل اريد العقاب بعينهِ · وان قلت هبت الشرقية · فلا تقولوا ما اجمل هذه الصور الخيالية · فاني اقصد النار الحقيقية · تلك التي لو مرت العقاب لوقعت فيها مشوية · قد حان لنا ان ندعو المعول معولاً على حد قول اخواننا الاميركيين · وبناء على ذلك سنبقى على الارض هذه الليلة بعيدين عن القمر والجوزاء والشعراء

لما وقفت امامكم في السنة الماضية شعرت بوجودي معكم في غور الحياة بل في اردن الموت · واما الآن فاني والحمد لله اخاطبكم وانتم في سهول الصحة تستنشقون هواء الحرية فمن اردن الموت الى سهول الحياة وحقول الحرية — خطوة خطيرة · ولكنها صغيرة · هي خطوة الى الأمام · ولكنها لا تغني عن رحلتنا الطويلة شيئًا من الاقدام · فان حوّلنا وجهنا الى مشرق الشمس نرَ الجبال قائمة في طريقنا لا لتعترضنا في سيرنا بل لتشحذ منا الهمة وتيقظ فينا النشاط وكلما صعدنا في جبلٍ نشاهد فوقنا روح ما تجسَّد من الامال · وهي تدعونا الى ما فوقها من الجبال · فان الامة التي تستيقظ من سباتها وتنفض عنها غبار خمول الاجيال ينبغي لها ان تواصل السير بالسرى والاَّ تقهقرت فسقطت ثانية في الوهدة التي نهضت منها · ولا يخفى عليكم ان الطريق وعرة · والزاد قليل · والنفس مضناة من اقامتها طويلاً في الغور · والاحمال ثقيلة · والادلاء كثيرون · وسنتوفق ان شاء الله في سيرنا على رغم هذه الصعوبات والعقبات · اذا اتخذنا الشمس دليلنا · وزادنا الآداب والفنون

ان الشمس المشرقة علينا من المغرب اليوم هي والحق يقال شمسنا · هي شمس آدابنا · هي شمس ادياننا . هي شمس مجدنا الغابر · فاذا نظرتم الى خارطة العالم رأيتم ان ثلاثًا من البلاد آخذة من مركز القلب . وهذه البلاد هي سوريا وفلسطين وجزيرة العرب وما بين النهرين . هذه البلاد وطننا · وهذا الوطن قلب العالم . وفي هذا القلب ظهرت الانبياء وفيهِ نشأت الاديان · ومن هذا القلب اشرقت على اوربا في القرون الوسطى شمس العلم

---

(١) خطبة القيت في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة السورية في نادى المدرسة الكلية في ١٣ ادار سنة ١٩٠٩

والادب والفلسفة فانارت ظلمات الاوروبيين وخرجت بهم من مهامه الجهل والتوحش الى واحات الرقي والعمران . اجل ان وطننا لقلب العالم . ولكن اوربا رأسهُ . وان كان القلب منشأ الخيال والنبوة فالرأس منشأ العلوم والفنون . على ان النور المنبثق من الرأس فقط هو كالنور الاصطناعي الذي يضيئون بهِ المراسح في اوربا . هو نور بارد جامد خامئٌ . وان لم يشترك مع نور القلب وحرارتهِ فلا خير فيهِ للانسان مهما عظمت نتائجهُ في دوائر العمران . والفنون ان لم يكن الضمير اساسها والاخلاص لباسها . ونفع البشر غايتها الاولى فهي افيون لا فنون . فانها تخدر الحواس وتذهب بشيء من الهموم ولكنها تقتل النفس وتفسد الحياة

ان سكان هذه البلاد التي هي قلب العالم لشبيهون بشجرة ذكرها النبي . شجرة مباركة لا غربيَّة ولا شرقية . نحن اليوم واقفون بين مدنيتين متناقضتين معاديتين الواحدة للاخرى . مدنية جديدة ومدنية قديمة . مدنية اوربيَّة ترفع اليوم اعلامها في البلاد كلها . ومدنية شرقية لم يزل لها المقام الرفيع بين فئة راقية من الادباء والفلاسفة في اوربا . فان كان هؤلاء الاوروبيون يجدون في مدنيتنا ما لا ينبغي تركهُ . ما لا يجوز اضمحلالهُ . فكم بالحري نحن . ولي كلام طويل في هاتين المدنيتين اقول الوجيز منهُ الآن

لست بجاهل ما في مدنية اليوم لمن كثر مالهُ فقط من دواعي الراحة في المعيشة البيتية المادية والسهولة في التوصل والسفر والانتقال . ولا اظنكم تجهلون ما في التعادي والتكالب في سبيل هذه الاشياء من الشقاء ايضاً والبلاء . فان المدنية التي يدعى التكالب فيها نشاطاً . والخداع براعة . والقوة حقاً هي عندي شر المدنيات . وهذه هي مدنية اوربا اليوم . مدنية كهرباء وبخار . مدنية تجارة وكسب واستغرار . مدنية حروب وفتوحات واستعمار . ليس فيها للضمير والذمة أثر من الآثار . مدنية جذورها حب الذات والاستئثار . ولبها اليأس والانتحار . لا تقولوا بالغت . فان كلامي من الاختبار . لا من المجلات والاسفار . واما مدنية الشرق فلست بناكر انها مدنية خمول وجمود واستسلام . مدنية اصولها القضاء والقدر ولبها محض اوهام . ولكن فيها من جميل العادات والتقاليد . من جميل العواطف والشعور . من شهامة النفس وكرم الاخلاق . من الانعطاف والوداد والوفاء ما تفتقر اليهِ المدنية الاوروبيَّة فهذه الخلال الشريفة تبعث الحرارة من الحقيقة الباردة القاسية فتمسي الحياة خفيفة الاحمال مرضية الامال . ناهيك عن انهُ لم يزل في هذه المدنية القديمة شيءٌ من البساطة والوداعة ومن الضمير الحي مما يزيد النفس الشرقية جمالاً . والضمير الحي

يا سادتي هو ملح العلوم والفنون والآداب ومن هذه كلها تتغذى المدنية الحقة

نحن اليوم واقفون بين هاتين المدنيتين · بين مدنية غازية منتصرة واخرى مدبرة · وينبغي ان لا نخضع على الاطلاق لهذا الفاتح القوي وان لا نترك ما في مدنيتنا من الخير الروحي · ولا ينجينا من استبداد هذه الفاتحة القاهرة ويحفظ لنا حسنات تلك المدبرة الاَّ الآداب · ولا اريد بالآداب الكتب فقط بل اريد منها آداب النفس اولاً والاخلاق · ان الدين وهو ابو مدنية الشرق يرفض بتاتاً مدنية الغرب · والعلم المادي وهو آلة مدنية الغرب يرفض بتاتاً مدنية الشرق . فالدين والعلم في هذا الموقف متغرضان كل لقومهِ ولا ينفعنا الواحد منهما دون الاخر · واني لا اجد في كل قوى النفس والفكر وثمارهما اصلح وانجع من الآداب تجمع بين الاثنين فينشأ عن ذلك مدنية جديدة قوامها الصنائع والفنون وشعارها الاخاء العام · واعلموا ان الفنون السامية الجميلة هي التي تتغذى من العلم والدين معاً · والامة التي تجعل مثل هذه الفنون اساس حياتها الاجتماعية هي ولا غروَ مجد المستقبل وام الامم · واحب ان اشاهد على شطوط البحرين او في اودية الرافدين مثل هذه المدنية الجامعة بين محاسن المدنيتين · احب ان ارى في قلب العالم جمال روح العالم وكمالها · احب ان ارى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الانبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة · احب ان تزرع بساتين هذه الارض المقدسة من تلك الشجرة المباركة التي جاء ذكرها في كتاب اخواننا المسلمين — شجرة لا شرقية ولا غربية · واحب ان ارى الشعراء والادباء بعيدين عن السياسة واوحالها منصرفين الى حراثة هذه البساتين الجميلة

سادتي · لا تظنوا ان الانقلاب السياسي يجدي الامة نفعاً ان لم يتبعهُ انقلاب ادبي · لا تظنوا ان في الحكومة الدستورية دواء شافياً لكل امراضنا . لا تظنوا ان الدستور وحدهُ يخلص الامة من الاخطار المحدقة بها والنامية في قلبها · وان الصحافة الحرة تقف دائماً من اجل الامة في وجه المشعوذين والمضللين والمفسدين · وهل الدستور والصحافة الحرة رقيتان من رقى السحرة حتى اذا قلنا مثلاً — شولم صحافة ! صرنا شعباً حرًّا . شولم دستور ! صرنا امة راقية ؟ لا يا اخواني لا . فان طلبتم الحرية اطلبوا المعنوي منها قبل الحرفي الجوهري قبل السياسي · اطلبوا الحرية الروحية التي تحصنها الآداب قبل الحرية المدنية التي تتاجر بها الاحزاب · وان خفي عليكم الفرق بين الاثنتين اذكروا ان حرية الجسد لا تجدي المرء نفعاً اذا كانت النفس مقيدة · وان حرية الفكر والقول لا تغني فتيلاً اذا ظلت الروح اسيرة ما اعتادهُ الجسد من الراحة والترف والرخاء او الذلة وتعفير الوجه والعياء · اخواني · ان

الفرق بين الحرية الادبيَّة الروحية والحرية المدنيَّة المادية كالفرق بين حرية السياسي في مراوغاتهِ وحرية البدوي في خيمتهِ او الرجل الصالح الجريء في معاملاتهِ· ان الحرية الحقيقية هي التي تنشأ في النفس لا التي يمنحها الملك الرعية· فان هذه تزعزعها الاهواء ويتاجر بها الزعماء وتقتلها رجعات التقهقر الشعواء وتلك كنز من كنوز النفس الخالدة· والذين لا يناضلون عن مثل هذه الحرية ولا يفادون من اجلها بشيء مما ألفوهُ من رخاء العيش او بشيء مما نالوهُ من المال او الرفعة والوجاهة بل يتنازلون عنها ويتاجرون بها كما لو كانت ثوبًا من الخام او سهمًا من اسهم البورص فما هم الَّا قبور متحركة اذ ما الجسد الَّا كالقبر لنفس باعت حريتها. ولكنني خرجت عن الموضوع

قلت ان الآداب التي تجمع بين العلم والدين تكون قوام المدنية الجديدة التي يقرن فيها بين مدنية المغرب الماديَّة ومدنية المشرق الروحيَّة· ولكن آدابنا لم تزل تحت سيطرة المتدينين والمتنطعين. وأنفسنا لم تزل في ربقة رجال الدين· وان لم نتحرر من هذا الاستبداد الديني او بالحري الكهنوتي كما تحررنا من الاستبداد السياسي تظل آدابنا جامدة مبتذلة خاسئة· ونعود بعد حين الى ما كنا فيهِ من الفتور والخمول والانحطاط

خذوني بحلمكم فاقص عليكم بوجيز الكلام قصة الكهان. ونشوء العبادة في قلب الانسان· لنعد الى الاكواخ اذًا فنحكي هنالك شيئًا من حكاية اجدادنا الاولين· من المعقولات التي لا تنفيها الالهيات او الالهيات التي لا تنفيها المعقولات — ان اول دعوة لباها الانسان دعوة بطنهِ وشهواتهِ· وماذا يهمنا وقد علمنا هل كان الانسان الاول يمشي على الاربع في تلك الايام او على الاثنتين· فان في العالم حتى اليوم كثيرًا من الحيوانات التي لا تمشي على الاربع! هذا الحيوان الناطق اذًا لم يكن يفهم في بادىء امرهِ الَّا حديث معدتهِ وحديث كبدهِ· فكان لا يحسن غير الصيد والحرب والاكل والزواج· وبعد فترة من الزمن مقدارها الفان قرنًا او الفان عامًا — لا فرق عندي — بدأ يسمع صوتًا آخر من فوق المعدة والكبد· بدأ يشعر بدعوة القلب فصار يعطف قليلاً على اولادهِ ان لم نقل ايضًا على شريكتهِ بل جاريتهِ بل زوجتهِ· وعلى هذه الحال عاش قرونًا — وللعلماء ان يجمعوا الالوف منها فوق الالوف فان عدها لا يستحق تعب الفكر — عاش قرونًا وهو لا يرى ولا يسمع سوى ما زيَّنتهُ لهُ الغريزة وحدَّثتهُ عنهُ المعدة· اوَلا ترى ان بعض شعوب اليوم ناهيك عن القبائل المتوحشة لم تزل في هاتهِ الحالة المنحطة من الحياة· فان القوى المدركة لم تظهر فيهم بعد· وفي هذه الفترة الطويلة الامد نشأت على ما اظن العبادات

والمعبودات التي كانت في بادىء امرها مادية محضة · لان هذا الحيوان الناطق بل هذا الصياد الغازي ما رأى في الاشياء الاَّ ما ظهر منها · ما رأى في الشمس الاَّ النور · ما رأى في الشجرة الاَّ ثمارها واغصانها وقشورها · ما رأى في النار سوى لهيبها ودخانها ورمادها · ما رأى في الحيوانات سوى ما بدا منها وما ظهر من حركاتها · في تلك الايام السعيدة كان كل حيوان ناطق يعبد طاغوتهُ على طريقتهِ الخاصة · بمقتضى شعورهِ وهواهُ · عملاً بداعي القلب والغريزة . وبعد مضي احقاب من الزمن وهو في هذا الغور من الحب والعبادة ارتقى قليلاً الى ما فوق السهول وبدا يشغل المخيلة منهُ حتى صار يرى في الاشياء شيئاً تحت القشور وتحت الرماد. وبما انهُ لم يدرك اسرارها راح يسلي نفسهُ بالاشعار ويعللها بالخيالات وبمقتضى هذا طفق كل انسان يمثل الخالق في الشكل الذي انطبع في قلبهِ اكثر من سواهُ ولا حاجة لتعداد هذه المعبودات كلها فلو جئت اعدد منها لا ان اعددها لاقتضي ذلك من الوقت ما لا يسمح بهِ المقام · ولكن اذا ذكرنا منها الجعل والشمس فقط نكون قد اتينا على ذكر اولها وآخرها ادناها واعلاها · اصغرها واكبرها وحالة الفرد تجاه معبودهِ في تلك الايام هي اليوم حالة المجموع في شعوب الارض كلها . وما اوثق في الام سوى الافراد

ولكن لنعد الى اصحاب الاكواخ · لما ظهر في الجماعات اناس ارقى نوعاً من اخوانهم وبدا لهم ان الانسان يرتاح الى كل غريب عجيب — والزنجي والباريزي اليوم سواء من هذا القبيل — لما علم هؤلاء الدهاة ما للخيال والوهم من السطوة على النفوس والقلوب قاموا ينشؤُون من هذه العبادات ديانات رسمية · فبنوا الهياكل وحاكوا من اوهام الناس طقوساً وظرائق واقاموا انفسهم رؤساء في الهيكل وبدأوا يتكهنون ويمثلون الله ! — بل يمثلون الطاغوت على الارض وهذا في رأيي اول ما كان من امر الوثنية والكهان · ولا تنسوا ان الوثنية لم تزل سائدة في بلادنا والكهان يتعاطون التجارة اليوم في دكانهم القديم فوجدت الديانة الرسمية وشيدت من اجلها الهياكل ونحتت الاصنام وقدمت الذبائح والقرابين وتسربت الى بيت المتكهن العطايا والاموال · وذلك قبل ان ظهر في الارض الانبياء الذين هم اعداء الملوك والكهان · فاذكروا هذا ولا تنسوهُ · ان الانبياء لاعداء الظلم في الملك والرجاسة في الهيكل والفساد في الجماعات

واما الكهان يا سادتي فهم اول من عاثوا في الارض فساداً · هم اول من قيدوا الانفس البشرية واستعبدوها · هم اول من تاجروا بالخداع والتغرير . هم اول من استولوا على الملوك والامراء وايدوا سلطانهم بانباء مكذوبة من السماء · والكهان اليوم هم اعداء الحرية الادبية

الروحية . ولا يغرنكم ما بدا منهم من الارتياح الى هذه الحرية التي منحنا اياها الدستور . فان العنان لم يزل في ايديهم والارواح لم تزل في ربقتهم . الكهان هم اعداء الآداب الراقية . اعداء اشتياقات الانفس السامية الى الكمالات الفكرية . على الكهان وآلهة الكهان امتشق نبيُّ العرب حسامهُ في الكعبة وصب اشعياء نار غضبهِ في اورشليم . على الكهان واصنامهم وتزاويقهم ومذابحهم ورجاساتهم انقضت صواعق حزقيال في اسرائيل ودمدت رعود دانيال في بابل . على تغريرات الكهان وخزعبلات العبادات قام عبد الوهاب في نجد ولوثروس في وتنبورغ وجون نكس في انكلترا وغيرهم في الارض كثيرون . فما ضرَّنا لو استغنينا عن المتكهنين المدلسين وتفلتنا من ربقتهم واعتصمنا بالله وبدين الله وبانبياء الله ؟ تدبروا كلامي ولا تسيئوا مرادي . اني احترم العاطفة الدينية التي تكون فطرية في الانسان ولكنني لا اجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطعهم — وقد قيل هلك المتنطعون — ما يساوي ذرّة من نفس امرىء راقية . ولكن اذا لبس الكاهن لغايتهِ ثوباً من التغرير والخداع ولبس المتعبدون ثوباً من الجهل والخرافة فذلك لان الانسان لا يسير في الارض عرياناً . ينبغي لهُ ان يستر سوءَتهُ ولو بسوءة اسوأ منها . وقد قيل — ان من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المستعبدين

ايها السادة . ان المرء يحتاج دائماً الى من يذكرهُ بانهُ من ابناء اليوم لا من بقايا امس . يحتاج دائماً الى من يريهِ الربقة في رقبتهِ . والقيود على روحهِ . يحتاج دائماً الى من يهمس في اذنهِ او يصرخ في وجههِ — انك انسان حر لا حلية في جيب هذا او ذاك يتصرف بها ساعة شاء كيف شاء . فيا ايها الشرقيون . ان تحت خريف نفسكم الدائم ربيعاً جميلاً ان كنتم تعقلون . ان تحت رهوكم موجات عظيمات لو ناهضتم العاصفة ولو مرة في الحياة فان مثل هذه النهضات الروحية . مثل هذه الثورات الادبية وان كانت عاقبتها اليوم غير مرضية ، فهي غداً منعشة للنفس محيية ، مثل هذه النهضات تعوّد المرء الفكرة . وتروض منهُ الارادة . وتكسبهُ المنعة والاستقلال . ان للماضي اثراً قوياً في العروق . ان فتور الشرقي لفي الدم . فان كان لا يمرّن نفسهُ وارادتهُ على ما يحرك الدم — دم الجسد ودم الروح معاً — يظل ما دام حياً كطلل من اطلال الزمان . ولا ينهض الشرقيين من هذا الغور المظلم سوى الثورة الادبية التي يتبعها انقلاب عظم في الاخلاق

ها اننا صرنا امة حرة ذات حكومة دستورية . ولكن ذلك لا ينافي ما في العائلة وما في الطائفة وما في المدرسة من الجور والحيف والاستبداد . من العماوة والجهل والفساد . ذلك

لا ينافي ما في اصطلاحاتنا الاجتماعيَّة — واكثرها من فضول التمدن الافرنجي — من الضيم والشقاء ما لا يماثلهُ ظلم اظلم حكومة مطلقة. ألا ترون ان التاجر لم يزل محني الظهر تحت امواله وصكوكهِ. والصانع لم يزل اسير هذا العبد سيدهِ. والتلميذ في المدرسة اسير جهل استاذهِ. والاستاذ اسير استبداد رئيسهِ. ألا ترون ان المصلح السياسي مرهونة حريتهُ لخطة حزبهِ. والكاتب حريتهُ عند قرائهِ او في قبضة رزقهِ. والصحافي حريتهُ في جلدهِ واستقلالهُ في كيسهِ — لا تؤاخذوني فقد وعدتكم في البداية بان اسمي المعول معولاً والعقاب عقاباً — ألا ترون ان المرأة في البيت مقيدة بارادة زوجها عادلة كانت او جائرة. وان الاب لم يزل يعتقد ان اصول التربية في تأييد سلطتهِ. والمأمور في الحكومة يتألم من ضغط ذاك الجالس فوق رأسهِ. والجندي من استئثار ضباطهِ. والكاهن من ظلم اسقفهِ. والاسقف من استبداد بطريقهِ. والراهب يحترق في نذرهِ ويئن من عنف رئيسهِ. والفلاح يتأوه من جور اميرهِ بل يصرخ في بعض الاماكن تحت سوطهِ. شولم صحافة! اصرنا شعباً حرًّا؟ شولم دستور! أصرنا امة راقية؟ اي اخواني. اسمعوا التقية تهمس في اذن هذا الكاهن — حافظ على مركزك. اسمعوا الخوف يقول لذاك الصحافي — حافظ على مصلحتك. اسمعوا الذلة ترشد اخانا الفلاح قائلة — اتقِ بطش سيدك. اسمعوا الجبانة تهمس في قلب الراهب — اتقِ الفضيحة وحافظ على ثوبك. فالتقية والخوف والذلة والجبانة هي اعداء حرية الانسان الحقيقية وان لم يحرر نفسهُ منها بنفسهِ فمئة قانون ومئة دستور لا تحررهُ. واعلموا ان الارادة المستولية على ارواحنا لا يخلصنا من ظلمها الاَّ ارادة اشد واقوى منها

لذلك ادعوكم الى ثورة ادبيَّة اناشدكم بالحرية التي بعثت من غور ماضينا حياة جديدة ألاَّ تدعوا الخوف والتقية والذلة والجبن تستولي عليكم متى شعرتم بيد تضغط جوراً على انفسكم متى رأيتم حريتكم الادبيَّة مقيدة امامكم

ارفعوا اعلام الآداب في البلاد. شيدوا صروح التهذيب اسسوا معاهد الفنون فان الآداب والتهذيب والفنون هي القوى الادبية الروحية التي يتآلف فيها العلم والدين ويقرن فيها بين بديهيات الانبياء ونظريات العلماء وتمتزج فيها روح الجمال وروح الحقيقة وتنبثق منها اشعة السلم والحب والاخاء. هي هي القوى الادبية الروحية التي يتوقف عليها تحرير الانسان وتحرير الامم والشعوب. لنعزز الآداب اذًا والفنون لنؤيد بالقول والعمل التعاليم السامية لننصر المبادئ الحرة السديدة ومتى رأينا ان الحزب الذي ننتمي اليهِ او الجريدة التي نكتتب فيها او الطائفة التي نحن منها تحاول تقييد افكارنا او الضغط على عقولنا او المتاجرة

باروا حنا فعلينا ان نخرج منها سريعاً وننفض عن نعالنا غبارها ان شرف المرء في حرية عقلهِ ونفسهِ وشرف الاحزاب في حرية رجالها وشرف الطوائف في حرية ابنائها

اخواني ما الناس الاَّ امة واحدة وستجمعهم في المستقبل ان شاء الله جامعة واحدة هي جامعة الآداب والفنون ودين واحد شامل قوامهُ الابوية الالهية والاخاء العام

امين ريحاني

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ميكروبات الامراض والمناعة

سيديَّ الفاضلين

ارى فيلسوفنا الكبير الدكتور شميل لاهياً هذه الايام بالحيوانات الكبيرة وسياستها وقد ترك المكروبات وشأنها فاستأذنتهُ في الرد على ما اعترض عليهِ بهِ الدكتور توفيق جهلان فاذن لي لكنني اخشى ان لا احسن في ذلك فينبري للرد عليَّ الاثنين واكون قد جنيت على نفسي والعياذ بالله من قلمهِ وتلك الهراوة الضخمة التي يتوكأ عليها

قال الدكتور شميل "اذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليهِ سيَّان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلها ولعلهما نوعٌ من التكافوء والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممتنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة". والذي قدرت ان افهمهُ من كلامهِ هذا انهُ لا ينكر اقوال العلماء وتعليهم عن سير المرض واسباب المناعة سواء كانت تلك الاسباب غلبة الجسم على المرض او قيام سد

حصين في الجسم يمنع نموّ هذه الاحياء الدنيا فيهِ مرةً اخرى . فرأيهُ لا يثبت ولا ينفي تلك الاقوال بل على فرض صحة القول بقيام هذا السد المنيع في الجسم او الدم فهو ممَّا يرجّح رأيهُ فلو قلنا مثلاً ان المصاب بالجدري يقوم في جسمهِ او دمهِ ما يمنع نموّ الاحياء المسببة للجدري مرةً اخرى في ذلك الجسم فهذا السدّ لم يكن ناتجًا الاَّ عن هذه الاحياء بعينها الثابتة في نوعيتها فكلما قويت هذه النوعية كان هذا السدّ اثبت في نوعيتهِ واشد في مقاومتهِ لهذه الاحياء بعينها والدليل على ذلك الفرق ما بين التلقيح بالجدري الحقيقي والتلقيح بالجدري البقري فالمناعة اشد واطول مدةً في الحالة الاولى واضعف واقصر مدةً في الحالة الثانية وذلك لان الجدري الحقيقي اثبت في النوعية من الجدري البقري وما هذا الاخير الاَّ تباين من الاول واضعف منهُ في النوعية ولا ارى ان هذا الامر اقرب الى الدلالة على ضعف المكروب وانحطاطهِ في النوعية كما قال الدكتور جهلان بل عكس ذلك فالاحياء الثابتة في نوعيتها تسبب في الجسم سدًّا ثابتًا في نوعيتهِ يقوى على هذه الاحياء بعينها اذا هي دخلت ذلك الجسم مرةً اخرى

ثم ان مقابلة الدكتور جهلان بين الدفثيريا والكَلَب من الجهة الواحدة والسرطان والتدرّن من الجهة الثانية لا اراهُ في محلهِ فالدفثيريا لم تنتقل بالمصل من الرتبة الثالثة الى الاولى بل كانت تشفى احيانًا وتعود الى المريض اي لم يكن لها الاَّ مناعة خفيفة قد لا تكون شيئًا يذكر فهي لم تكن من امراض الرتبة الثالثة وان انتهت بالموت في غالب الاحيان وهي والكَلَب من الامراض الحادّة ولا وقت للجسم ليقوى فيهِ عليهما لسرعتهما وشدّة وطأتهما . والكَلَب لا يعلم بحادثة واحدة حقيقية شفيت منهُ لا قبل اكتشاف علاج باستور لهُ ولا بعدهُ ولو فرضنا ان حادثة واحدة شفيت لبقي المصاب بعدها في اشد المناعة اذ يكون قد بقي في جسمهِ هذا السدّ المنيع الناتج عن هذه الاحياء المسببة للكَلَب الثابتة في نوعيتها فيكون كأنهُ عولج بهذا العلاج الواقي الذي اكتشفهُ باستور فهذا العلاج واقٍ وليس شافيًا اي لا يشفي بعد ظهور الاعراض واستعمالهُ قبل ظهور المرض ولم ينتقل بهِ الداء من الرتبة الثالثة الى الاولى بل هو باقٍ في رتبتهِ الثانية اي ان هذا العلاج يقي المصاب ولا يعرضهُ لهُ كما لو انتقل الداء الى الرتبة الاولى . ولا وجه للمقابلة بين الكَلَب والتدرُّن من هذا القبيل لاسباب اخرى لا لزوم لاطالة البحث فيها

بقي امرٌ آخر اظنهُ صدر سهوًا من الدكتور جهلان وهو قولهُ " قد ثبت ان من المكروبات التي يقول الدكتور شميل انها من رتبة التباينات ما هو ارقى تركيبًا من

باشلوس كوخ نفسهِ". ولعلهُ يشير بذلك الى الاحياء المسببة للامراض الميازمية فارتقاؤُها في التركيب لا يمنع كونها من التباينات وهذا الحمام الاهلي كلهُ تباينات وهو ارقى كثيرًا من باشلوس كوخ ولو ترك لنفسهِ لعاد الى اصلهِ في النوعية وهو الحمام الرصاصي اللون الذي نراهُ في ابراج صعيد مصر

هذا ما عنَّ لي ذكرهُ واظن فيهِ ما يكفي لايضاح رأي الدكتور شميل واني لا اجزم بصحتهِ لكنني اراهُ معقولاً لا ينافي ما تقدمهُ من آراء المناعة وسير الامراض بل يزيدها وضوحًا

الدكتور امين المعلوف

الشفاهي والشفهي

حضرة محرري مجلة المقتطف الغراء المحترمين

بعد تقديم واجب الاحترام اعرض اني قد قرأت في العدد الخامس من مجلتكم الغراء سنة ١٩٠٩ في صحيفة ٥٠٥ مقالة على كتاب فك التقليد ورأيت فيها كلمة (شفاهي). والمعلوم ان القاعدة العامة للنسبة هي: اذا أردتَ النسبة الى الجمع المكسر رُدَّ الى مفردهِ نحو مساجد مسجدي الا اذا كان الجمع جرى مجرى العلم نحو أنصار أنصاري . ويؤْخذ من ذلك ان الصواب شَفهي نسبةً الى شفة المفرد . فارجوكم الافادة عن هذه المسأَلة ودمتم

جورج انطونيوس

طالب في كلية فيكتوريا

[المقتطف] اذا اريد النسبة الى الشفة او الشفتين او الشفاه التي هي جمع الشفة فالنسبة شفوي او شفهي فيقال الحروف الشفوية او الشفهيَّة اي التي تلفظ من الشفتين . واذا اريد النسبة الى الشفاه الذي هو مصدر شافه اي خاطب فمًا لفم فالنسبة شفاهي فيقال الامتحان الشفاهي اي الذي يكون بالمشافهة لا بالكتابة . وكلمة شفاهي الواردة في الصحيفة ٥٠٦ من المقتطف نقلاً عن كتاب "فك التقليد" هي من هذا القبيل اي هي من النسبة الى الشفاه اي المشافهة لا من النسبة الى الشفة ولا الى الشفاه التي هي جمع شفة . ونرى احيانًا نظارة المعارف المصرية تقسم الامتحان الى قسمين "شفهي وخطي" فكلمة شفهي هنا غلط والصواب شفاهي اي مشافهة واما النسبة الى الشفة والشفتين والشفاه فتكون في مثل الحروف الشفوية او الشفهية كالباء والفاء اي التي تلفظ من الشفتين والسرطان الشفوي اي الذي يصيب الشفتين ولا اشكال في ذلك

البلاد العربية

اني احسب قرّاء المقتطف الكرام من لباب المتكلمين بالعربية واكثرهم علماً واوسعهم اطلاعاً واشدهم غيرةً على خير بلادهم فاستفتيهم في امر لهُ الشأن الاكبر في مستقبل البلاد العربيّة واعني بالبلاد العربية كل الولايات العثمانية التي يتكلم سكانها باللسان العربي وهذه اسماؤُها ومساحاتها وعدد سكانها حسب آخر تقدير لها وهو تقدير سنة ١٨٩٦

	المساحة	عدد السكان
ولاية حلب	٣٠٠٠٠	٩٩٥٨٠٠
" بيروت	١١٧٧٠	٥٣٣٦٠٠
متصرفية لبنان	٠٢٥١٠	٣٩٩٥٠٠
" القدس	٠٨٢٢٠	٣٣٣٠٠٠
ولاية سورية	٢٣٨٠٠	٩٥٥٧ ٠
متصرفية الزور	٣٢٨٢٠	١٠٠٠٠٠
ولاية بغداد	٥٤٤٨٠	٨٥٠٠٠٠
" الموصل	٢٩٢٠٠	٣٠٠٠٠٠
ولاية البصرة	١٦٤٧٩	٢٠٠٠٠٠
" الحجاز	٩٦٥٣٠	٣٠٠٠٠٠
" اليمن	٧٧١٧٠	٧٥٠٠٠٠
" طرابلس الغرب	٣٩٧١١٠	١٠٠٠٠٠٠
والجملة	٧٨٠٠٨٠	٦٧١٧٩٠٠

فهذه البلدان مساحتها معاً اكثر من ٧٨٠ الف ميل مربع اي نحو اربعة اضعاف بلاد فرنسا وعدد سكانها اكثر من ستة ملايين وسبع مئة الف نفس ولا بدَّ من ان يكونوا قد زادوا نحو ١٥ في المئة منذ ثلاث عشرة سنة الى الآن فيكون عددهم الآن اكثر من سبعة ملايين وسبع مئة الف نفس فهم مثل سكان مملكة من ممالك اوربا الصغيرة وتجمعهم كلهم جامعة اللغة

ولا يخفى ان الممالك العثمانية بدأت في دور الانتقال من الحكم الاستبدادي المقيد بارادة السلطان وبعض القوانين الى الحكم الدستوري المقيد بارادة الشعب والشعب ينتخب

منهُ اناساً يرسلهم الى مجلس المبعوثان ينوبون عنهُ ويظهرون فيهِ ارادة منتخبيهم ونجاح هؤُلاء النواب في اظهار آرائهم ومطالبهم واقناع الغير بها متوقف اكثره على حسن القائهم باللغة التركية التي هي لغة المجلس. والذين يحسنون التركية ويحسنون الالقاء بها من ابناء الولايات العربيَّة قليلون جدًّا فحصر الانتخاب فيهم مبطل لاول مزية من مزايا الحكومة الدستوريَّة وهي ان يكون الشعب حرًّا في انتخاب من يريد ان ينوب عنهُ. وستبقى هذه المزية معدومة الى ان تشيع اللغة التركية في الولايات العربيَّة ويتعلمها الجميع على السواء وهذا امر قد لا يتم في عشرين سنة او ثلاثين او لا يتم ابدًا

فما دامت لغة مجلس المبعوثان التركية فلا يمكن للولايات العربيَّة ان تشترك فيهِ اشتراكاً فعليًّا صحيحاً ولا يمكن ان تكون حكومتها دستوريَّة حسب مفهوم الكلمة بل يبقى نوابها اناساً مخصوصين من الذين تيسَّر لهم اتقان اللغة التركية هذا اذا وجد فيها من اتقن هذه اللغة حتى صار قوي الحجة فيها مالكاً ناصية التعابير الخطابيَّة التي لها الوقع العظيم في النفوس. وليس احد من النواب الحاليين عن الولايات العربيَّة بالغاً هذه الدرجة مثل اخوانهم نواب الترك والروم والارمن والالبان وعليهِ فستبقى الولايات العربيَّة محرومة من اول حق من حقوق الحكومة الدستوريَّة ولو صارت الحكومة دستوريَّة فعلاً

هذا هو الامر الاول والامر الثاني ان الحكام والمأمورين لا يتصلون بالشعب الاتصال الواجب ولا يتصل الشعب بهم الَّا اذا عرفوا لغة الشعب تمام المعرفة. فلا يصلح تعيين المأمورين الاتراك والارمن والالبان واليونان في الولايات العربيَّة ولا يصلح تعيين المأمورين من ابناء العربيَّة في الولايات التركية. واذا وضع هذا الفصل بين المأمورين في الولايات امتنعت وحدة السلطنة وتعذَّرت مخاطبة المراجع العليا

وما يقال عن المأمورين يقال عن الجنود فانهُ ينتظر ان يصير عدد الضباط في الجيش العثماني من الولايات العربية على نسبة عدد سكانها اي نحو ثلث الضباط كلهم من اعلاهم رتبةً الى ادناهم والَّا فلا مساواة ولا دستور. ولا يُنتظر ان يستقل الضباط الاتراك بقيادة الجيش التركي والضباط العرب بقيادة الجيش العربي في الولاية الواحدة ولا سبيل للاشتراك الفعلي التام الَّا اذا توحدت اللغة وهذا امر بعيد الوقوع كما تقدم

فلهذه الاسباب كلها ومرجعها اللغة ارى انهُ يحسن ان تنقسم السلطنة السنية اداريًّا الى قسمين قسم تجري اشغال حكومتهِ كلها باللغة العربية وهو الولايات العربية المذكورة آنفاً وقسم تجري اشغال حكومتهِ كلها باللغة التركية وهو سائر الولايات العثمانية لان اللغة التركية

شائعة فيها كلها. ويكون لكل قسم مجلس نواب خاص الواحد تجري مباحثهُ باللغة العربية والثاني باللغة التركية ويكون للسلطنة كلها مجلس اعلى ولا بأْس بجعل مداولاتهِ باللغة التركية مع اباحة اللغة العربية ولو يترجم ما يقال فيها الى التركية

ولا انكر انهُ لو كانت البلاد كلها تركية او عربية اي لو كان لها لغة واحدة وحكومة واحدة ومجلس واحد لكان ذلك اصلح لها وكانت بهِ اقوي ممَّا لو كانت لها ادارتان وحكومتان وكان لها مجلسا نواب ولكنني ارى ان وجود الادارتين والمجلسين اصلح للبلاد واقرب الى العدل من وجود ادارة واحدة ومجلس واحد وثلث السكان غير مشترك فعلاً في حكومة بلادهِ كما هي الحال الآن وقد اكون مخطئًا في رأْيي هذا

وارجو ان يطرح موضوعي على بساط البحث وان تتناولهُ اقلام الكتَّاب الذين يغارون على بلادهم وشعبهم. ولم أُدخل القطر المصري بين الولايات العربية وله الحق الاول بالدخول فيها لانني ارى من اخواننا الاتراك الميل الى عدم التعرُّض لهُ اما لا يغضبوا الدولة الانكليزيَّة

باحث عثماني

وداع وعتاب

للسلطان السابق عبد الحميد

اللهُ اكبر فالظُلاَّم قد علموا لايِّ منقلَب يفضي الأُولى ظلموا
لقد هوى اليوم صرح الجور وانتقضت اركانهُ وتولَّت اهلهُ النقمُ
وحصحص الحق في عزٍّ وفي ظفرٍ يحفهُ خادماهُ السيفُ والقلمُ
ثارت لهُ عصبة كانت مشرَّدةً وقد تهدَّدها الإِرهاق والعدمُ
من كل اروعَ في حيزومهِ حنقٌ في نفسهِ عزَّةٌ في انفهِ شَممُ
عبدَ الحميد استمع منهم مناقشةً فطالما صبروا بل طالما كظموا
غادرت امتك المنكود طالعها تغضُّ مقلتها ان عدَّت الاممُ
اطلقت فيها سيوف الغادرين وقد كانت بحبلك بعد الله تعتصمُ
الله الله يا راعي القطيع فقد لاقت مصارعها في رَعيك الغنمُ
حمَّلتنا ما تنوءُ الراسيات بهِ كيف الصنيع وانت الخصم والحكمُ
فكم شكونا ولم تسمع شكايتنا وكم دعونا وحظُّ الدعوة الصممُ

وليَّ نعمتنا قل لي اما بطلت   تلك الولاية لما ضاعت النعمُ
فلو رفقت امير المؤمنين بنا   ما كان انضي صمصامٌ وسال دمُ
يا خادم الحرمين اعدل فهل أُمنت   في ظلك الكعبة الزهراء والحرمُ
ام حجَّ حجاج بيت الله في دعةٍ   من غير ان يرهقوا فيهِ ويهتضموا
وليتهُ غاشماً (١) لم يرعَ حرمة من   في ذمّة الله ضاعت عندهُ الذممُ
كم استجاروا عليهِ فازدريت بهم   ان لم تكن ناقماً فالله منتقمُ
ربَّ الهلال اجب هل كنت تمنحهُ   ما اعتاد من نصراتٍ ذلك العلمُ
ماذا فعلت باحرار البلاد وما   جنوا على الدين والدنيا وما اجترموا
حتى قسمتهمُ شطرين فازدحمت   على جسومهم الحيتان والرّخمُ
ويا سلالة عثمانٍ اما انصلت   منهُ اليك الصفات الغرُّ والهممُ
اين الغطاريف ارباب العزائم مِن   اسلافك القيدِ مَن بالعدل قد عظُموا
شادوا لك العزّة القعساء من قدمٍ   فجئت تهدمُ ما شادوا وما رسموا
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة   وفي زمانك لا سيف ولا قلمُ
حصدت ما زرعوا فرّقت ما جمعوا   خفضت ما رفعوا بعثرت ما نظموا
حجّاجَ عصرك بل تولي العقاب بلا   ذنبٍ ومزّاك عنهُ الجمعُ والنهمُ
خليفة الله قد خالفت ما أُمرت   بهِ الشريعة والتنزيلُ والكلمُ
دمرت بيتك يا هذا فانت اذن   عدوُّ نفسك او قد مسّك اللممُ
حشدت زمرة غدرٍ طالما سفكوا   واستنزفوا ثمّ لا قيدوا ولا غرموا
المخلصون تولّوا منك وانهزموا   والخائنون على ابوابك ازدحموا
حبست آلك حتى بعضهم هلكوا   كانما لم تكن قُربى ولا رَحمُ
حاولت اطفاء نور الحق وهو لظىً   تثور افواههُ ان سدّ منهُ فمُ
طال الزمان على جورٍ تعالجهُ   وعيل صبر الورى واستحوذ السأمُ
ضيّقت دارهم في الارض فاتّسعت   والمرءُ مستبسلٌ ان عضهُ الألمُ
قد جمّع الظلمُ منهم كل مفترقٍ   وشدّ ما استتروا في الامر واكتتموا
وكلما نام عنهم رهطك انبعثوا   يدبرون وان لاحظتهم جثموا
وعندما اكتملت للوثب عدّتهم   توكلوا واستخاروا بالذي عزموا

---

(١) راتب باشا

سلُّوا عليك سيوف العدل مرهفةً   كانها شهبٌ في الافقِ او رُجُمُ
شقوا بها في جلابيب الدجي شفقاً   بشَّت لهُ الارضُ وانجابت بهِ الظلمُ
وطالبوك بحق كنت هاضمهُ   وحاكموك الى البتَّار واختصموا
فادوا بارواحهم حبًّا بامتهم   فلتحيِ تلك السجايا الغرُّ والشيمُ
قد كان ما كان والرحمان ناصرنا   فالعدل منتصر والجور منهزمُ
دبَّرت فتنة سوء تستعيد بها   من مجدك الباطل الغرَّار ما هدموا
مجد كبير طوتهُ ظلمة كشفت   ثمَّ انجلت فاذا ما تحتها ورَمُ
كرُّوا بعزمة حرٍ جاء منتصرًا   لنفسهِ واستباحوا منك ما احترموا
فانزلوك عن العرش الرفيع وما   كانوا يريدونها لكنهم رُغموا
تأبى الشريعة ان تبقيك حافظها   وانت بالغدرِ والإغواء متَّهمُ
هبطت من قمة الامجاد منحدرًا   كصخرةٍ حطّها من شامخ عرِمُ
ففي هبوطك عاد الملك مرتفعاً   وفي تولّيك كل الخلق قد سئموا
كانت باقبالك الاقدار عابسةً   فاصبحت بعد ما ادبرتَ تبتسمُ

دمشق ٥ مايو سنة ٩٠٩   (ف)

باب الزراعة

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١٤)

زراعة قصب السكر

تصلح اراضي مصر جميعاً لزراعة قصب السكّر . غير ان ما تقتضيهِ زراعتهُ من كثرة العناية والاهتمام يحصرها في ايدي فئة صغيرة من الاهالي أخصُّهم مقيم في نواحي فرشوط واخميم من مديرية جرجا حيث مركز هذه الزراعة . أمَّا ما يزرع من قصب السكّر في غير هذه المديرية فلا يستخرج منهُ السكر بل يباع في الاسواق أخضر او بالحري يمصّ مصًّا . وتقوم زراعتهُ بحرث الارض اولاً في شهر مارس اربع مرّاتٍ او خمساً حرثاً متقاطعاً

وبعد ذلك يخطّون فيها اثلاماً متحاذية يلقون فيها قطعاً من قصب السكر الاخضر يغطونها بطبقة من التراب على علوّ عقدتين او ثلاثاً ثم يسقونها بالسواقي بمعدل ساقية مجهزةٍ باثني عشر ثوراً لكل ستة افدنة . لانهُ يلزم ثوران لسقي الفدان . ويستمر السقي بلا انقطاع احد عشر شهراً الى حين الجني

وعندما يدرك القصب يقطعونهُ قرب الارض فيستخدمون ٤ فعلة لقطع مزروعات الفدان في اسبوع

وتفرخ اصول القصب التي تبقى في الارض فيأخذون منها " تقاوي " السنة التالية

وتبلغ غلّة الفدان ٢٠ قنطاراً سكّراً و١٢ قنطاراً من عسل السكر . ويباع قنطار السكر الذي وزنهُ ١٠٥ ارطال بين ٣٢ فرنكاً و٣٨ فرنكاً وقنطار العسل بتسعة فرنكات

اما كيفية صنع السكّر فسيأتي وصفها في الكلام عن الصنائع

(١٥)

زراعة التبغ

أكثر ما يزرع التبغ في الوجه القبلي . فيزرعونهُ هناك على أثر انحسار مياه الفيضان ولا يعود من ثمّ داعٍ للاهتمام بهِ . وقد يزرعونهُ في الربيع فتقتضي الحال اعداد الارض بالحرث مرةً او مرتين قبل زرعهِ

ويزرعون في القيراطين من الفدان $\frac{١}{٢٤}$ من الاردب بزْراً (تقاوي) وبعد ٤٠ او ٥٠ يوماً يزهو النبات ويشتدّ فيقتلعونهُ ويغرسونهُ في أجود ارض بعد اعدادها بالحراثة المتقاطعة مرتين في حفَر يبعد بعضها عن بعض ثماني بوصات وعمقها ثماني بوصات ايضاً ويجزّونها على مقربة من الارض بعد شهرين ونصف من غرسها فتفرخ فيعيدون جزّها بعد إفراخها بثلاثين يوماً

وبعد قطع سوق النبات ينزعون عنها الورق ويعرضونهُ للجفاف في الشمس ثمانية ايام ثم يحفظونهُ زمناً مغطىً بالحصر وفي النهاية يرزمونهُ رزماً فيصير صالحاً للبيع

وفي جميع بلاد الريف في الصعيد لا يستعملون تبغاً غيرهُ

ويجنون من الجزّة الاولى نحو ٢٠ رزمة جافّة من كل فدان تزن الواحدة منها نحو ٤٠ رطلاً ومن الجزّة الثانية نحو عشر رِزَم . ويباع القنطار من الاولى بنحو عشرة فرنكات ومن الثانية بنحو سبعة فرنكات

(١٦)

زراعة الوَرْد

تجارة ماء الورد قاصرة على مديريَّة الفيوم التي يرد منها كل ما يستعمل من ماء الورد في القطر المصري

واكثر ما يزرع من الورد في ضواحي مدينة الفيوم حيث يستخرجون ماءهُ . فيعدُّون الارض في الشتاء بالحرث عدَّة مرات ثم يقسمونها الى مربعات صغيرة يزرعون فيها فسائل الورد على ابعاد نصف متر بعضها عن بعض ويسقونها مرةً كل ١٥ يوماً على مدار السنة

ويجنون الزهر اثناء شهر ابريل واوائل مايو في كل صباح . ويستقطرونهُ بالانبيق في مكانهِ . والغالب انهم يجنون الورد في السنة الثانية من غرسهِ حتى السنة الخامسة وبعد ذلك يجدّدون غرسهُ

ومعدل جني الفدان ثمانية قناطير زهرًا يباع القنطار منهُ بين ٢٠ فرنكاً الى ٣٦ فرنكاً

(١٧)

زراعة النخل

النخل من اهم اشجار القطر المصري . وتمتد زراعتهُ من اصوان الى شاطئ البحر المتوسط . غير انهُ يكثر على الخصوص في ضواحي مدينة ممفيس القديمة (جهات البدرشين وميت رهينة) التي تحوَّلت الى غابة منهُ . وفي شرقي بلبيس حيث بلدة الصالحية . وفي اللسان الفاصل بين بحيرة البرلس والبحر المتوسط

ويزرعون نوى النخل إمّا في مزارع خاصة ينقلون منها "شتلهُ" بعد بضعة سنين الى حيث يراد غرسهُ واما في اماكن يتخيرونها لزرعهِ نهائيًا . وفي كلتا الحالتين يزرعون النوى في حفر عمقها نحو ١٥ سنتيمترًا يروونها بالماء فتفرخ بعد ٤٠ يوماً او ٥٠

وعند ما تبلغ شجرتهُ سنتها الخامسة يشرعون في قطع سعفها ويكررون ذلك سنةً فسنةً

ويبتدئ جني النخل المغروس غرسًا بعد ٦ سنوات الى ٨ من غرسهِ وجني المزروع زرعًا بعد نحو ١٠ سنين من زرعهِ

غير انهُ لا بد من تلقيح اعذاق اناث شجر النخل سنويًا فيضعون شيئًا من زهر أقناء ذكورهِ بين زهر اقناء اناثهِ فيتلقَّح ويثمر . ومعدل ريع النخلة سنويًا في الصعيد بين اربعة فرنكات وسبعة فرنكات . ومعدل عمرها بين ٨٠ سنة و١٠٠ ولكني لست واثقًا من صحة ذلك لعلمي ان معظم من شافهتهم فيهِ يجهلون ازمنة مواليدهم

ويباع البلح طريًّا ومجففًا وعجوةً وريعهُ في الوجه البحري يماثل ريعهُ في الصعيد بوجه التقريب . ويُقبل الاهالي على زراعة النخل اولاً لكثرة فوائدهِ اذ انهم يصنعون منهُ ضروبًا متعددة من العجوة والمسكّرات والمسكرات وينتفعون باخشابهِ والياقهِ في البناء والنجارة وصناعة الحبال وخلافها . وثانيًا لان الحكومة تشجعهم على زراعتهِ باعفائهِ من الضرائب على حين انها تجبي الخراج على سائر المزروعات

(١٨)

زراعة الكرم

يعتبرون الكرم في مصر بعد النخل في اهميتهِ وهو يزرع في جميع البساتين الخاصة غير ان الفيوم تعدُّ موطن زراعتهِ ويتلوها جهات البرلّس . فيباع عنب الفيوم في القاهرة وانحائها وعنب البرلّس في الاسكندريَّة ورشيد ودمياط

ويزرعون الكرم فسائل يغرسونها في الارض بعد اعدادها جيدًا لهذه الزراعة ويسمدونها بزبل الحمام . ومتى علت جفناتهُ يعرّشونها على عوارض خشبية مستندة على قوائم عموديَّة فتتخذ شكل العريش

وفي الفيوم من البساتين اكثر مما في سائر جهات مصر لان اهاليها يزرعون انواعًا مختلفة من الاشجار المثمرة كالكمثرى والمشمش والزيتون والتين وخلافها

ويزرع في كثير من انحاء مصر البرتقال والرمان والليمون الحامض (المالح) وخصوصًا في ارباض الاسكندريَّة ورشيد والقاهرة والجيزة حيث تكثر الحدائق الخاصة بذوي اليسار . ونخصُّ بالذكر جزيرة فاروس (الفنار) القديمة التي تسمى الآن جزيرة التين (راس التين) لكثرة هذا النوع من الشجر فيها وشدة خصبهِ ويقال على الجملة ان الاشجار المثمرة قليلة في مصر والاشجار الغابيَّة مفقودة منها . غير انهُ يكثر فيها شجر الجميز حتى لاتكاد ترى ساقية لا تستظل بظلهِ . وفضلاً عن ذلك فانهم ينتفعون بأخشابها لبناء القوارب وعمل جسور البيوت

مزايا القطن المصري وعيوبهُ

قرأنا للمستر لورنس بولس نباتي الجمعية الزراعيَّة الخديويَّة بحثًا مستفيضًا عن القطن المصري في كتاب الجمعية السنوي وصل فيهِ الى هذه النتيجة وهي انهُ يمكن ان يزيد ثمن محصول القطن المصري زيادة كبيرة جدًّا من غير ان تزاد زراعتهُ مساحةً وذلك بان يختار

مقدار من التقاوي من اجود اصناف القطن المصري التي تقرب من الكمال ويزرع سنتين متواليتين ويختار من اشجارهِ ما تظهر فيهِ اتم الخواص حسب ناموس مندل الوراثي وتزرع التقاوي منهُ في مكانين او ثلاثة امكنة من القطر. ويجب ان يفصل كل مكان منها عمَّا حولهُ بحيث لا تصل اليهِ الحشرات الكبيرة كالنحل لئلاَّ تلقحهُ من لقاح قطن آخر. ويكرَّر زرعهُ هناك من تقاويهِ نفسها منفصلاً عن غيرهِ. ومن المحتمل ان التقاوي التي تؤْخذ من الزراعة الاخيرة تثبت الصفات الجيدة فيها اربع سنوات متوالية فلا يحتاج الزارع ان يعود الى التقاوي النقية الاَّ في السنة الخامسة. ولا بدَّ من ان يكون في البلاد مكان معد لتوليد التقاوي النقية دائمًا

ولقد كان للقطن المصري مزيَّة مهمة وهي صلاحهُ لعملية المرسرة التي يصير بها كالحرير ولكن هذهِ العملية قد اتقنت الآن فصار يمكن استعمالها لغير القطن المصري فلم يعد ممتازًا بها. وكانت شعرتهُ طويلة دقيقة متينة فلم تعد كلها كذلك فاذا فقد المزايا التي تميزهُ عن القطن الرخيص هبط ثمنهُ حتماً ومن ذلك خسارة لا تقدر علي القطر المصري

ولم نرَ في ما كتبهُ المستر بولس دليلاً مقنعاً على انهُ اهتدى الى طريقة اصلاح القطن المصري او ارجاع المزايا الجوهرية اليهِ لان تجاربهُ لم تنتج دائمًا نتيجة واحدة ولكن اسلوبها معقول وناموس مندل الوراثي محقق وقد يمكن منع العوارض التي تقاومهُ وتمنع فعلهُ او تضعفهُ. والمسألة حرية بالبحث ويجب ان لا تبخل الحكومة بما يلزم لها من النفقات حتى اذا ثبت انهُ يمكن اصلاح نوع القطن وارجاع المزايا الجوهرية اليهِ فاقل ما يطلب منها ان ان تتولى اصلاح التقاوي اللازمة للقطر كلهِ. فاذا فرضنا مساحة الاطيان التي تزرع قطناً مليوناً ونصف مليون من الافدنة ولزم للفدان ست كيلات فالتقاوي اللازمة للاطيان كلها تساوي محصول سبعين الف فدان بزرةً ولا يصعب على الحكومة ان تختار من اطيانها الخصوصية واطيان الدومين ٢١٠٠٠ فدان وتزرع ثلثها كل سنة قطناً منتقًى وتبيع بزرتهُ للمزارعين تقاوي. واهتمامها بهذا الامر يجب ان لا يقل عن اهتمامها بالترع والمصارف وماء الري اذا كانت جودة الموسم تتوقف علي جودة تقاويهِ لان في المسألة فرقاً يبلغ بضعة ملايين من الجنيهات كل سنة بين زيادة في ثمن المحصول او نقص في ثمنهِ

حقائق في زراعة القطن

قال الدكتور دبني رئيس مدرسة تنسي الجامعة في مقالة عن الزراعة الاميركية

نشرت في الطبعة الحديثة من الانسكلوبيذيا البريطانية ان القطن ابن الشمس ومحصول الفدان منهُ في المكان الواحد اقل اختلافًا سنة بعد سنة من غيرهِ من المزروعات . اي ان المقدار المعلوم من نور الشمس يجني مقدارًا مناسبًا لهُ من القطن . فمحصول القطن متوقف على مقدار ما يصيبهُ من نور الشمس مدة اقامتهِ في الارض ولكن لا بدَّ من نسبة معلومة في توزع الحرارة والنور مدة الشهور التي يقيم فيها في الارض اي من الربيع الى الخريف ولا بدَّ لهُ من ستة اشهر الى سبعة يكون الطقس فيها مناسبًا لهُ . وهو يجود مهما اشتدَّ الحر اذا كان الهواء رطبًا مع حرارتهِ ولا بدَّ لهُ من الري الغزير مدة نموهِ

وهو يجود في انواع مختلفة من الاراضي في المنطقة المناسبة لزراعتهِ من الرملية الخفيفة الى الطينية الثقيلة فاذا كانت الارض خفيفة وطبقتها السفلى رملية كانت شجرات القطن صغيرة ولكنها تكون كثيرة اللوز واذا كانت الطبقة السفلى طفالية كانت الشجرات كبيرة ولكن لوزها يكون قليلاً وخير الاراضي الطينية المتوسطة بين الرملية والطفالية التي تصرف صرفًا جيدًا

والارض التي تصلح لزراعة القطن في المنطقة التي يزرع القطن فيها باميركا واسعة جدًّا تبلغ عشرة اضعاف الاراضي التي يزرع القطن فيها الآن . فاذا زرعت كلها انتجت عشرة اضعاف ما تنتج الآن من القطن ولكن قلة وجود العمال تمنع التوسع في زراعتهِ فان اجرة العمال تبلغ ٥٤ في المئة من مجموع المصاريف اللازمة لهُ . ويقتضي لكل ثلاثة قناطير من القطن نفر واحد من السكان وعدد سكان الولايات التي تزرع القطن ١٥ مليونًا فيسهل عليهم ان يزرعوا ما يبلغ محصولهُ ٤٥ مليون قنطار او نحو ١١ مليون بالة اميركية . وقد اهتدوا الى وسائل كثيرة لتسهيل الخدمة فصار يمكنهم ان يقوموا بزراعة اكثر من ذلك

وقد بحثت الحكومة الاميركية عن مصاريف زراعة القطن سنة ١٨٩٧ فوجدت ان مصاريف الفدان من الابلند ١٥ ريالاً و٤٢ سنتًا وايراد الفدان ١٩ ريالاً و٣ سنتات فالربح من الفدان الواحد ٣ ريالات و ٦١ سنتًا (اي ٧٢ غرشًا) . وان متوسط محصول الفدان ٢٥٥ رطلاً و٦ اعشار الرطل من القطن الشعر و ١٦ بشلاً (نحو ثلاث ارادب) من البزرة ومتوسط ثمن الرطل من القطن الشعر ٦,٧ سنت ومتوسط ثمن البشل من البزرة ١١,٩ سنت ومتوسط اجرة جمع المئة رطل من القطن نحو ٩ غروش ومتوسط مصاريف القنطار من القطن الشعر في الولايات كلها خمسة ريالات و٢٧ سنتًا . وسنة ١٨٩٦ ربح ثمانون في المئة من زارعي القطن وخسر عشرون في المئة

وقد تحسن نوع القطن الاميركي كثيرًا بتحسن خدمتهِ فقد كان في كل مئة رطل من القطن والبزرة ٢٥ رطلاً من القطن الشعر و٧٥ رطلاً من البزرة ثم زاد مقدار الشعر (اي التصافي) رويدًا رويدًا حتى بلغ الآن ٤٠ رطلاً من القطن الشعر و٦٠ من البزرة (لو بلغ القطن المصري هذا المبلغ لكان تصافي القنطار ١٣٦ رطلاً من القطن الشعر وهو قلما يزيد الآن على ١٠٦ ارطال) وكان طول الشعرة سنتمترين الى ثلاثة فصار الآن خمسة سنتمترات الى ستة في اجود الانواع. ولكن الانواع التي بلغت هذا الحد من كثرة التصافي وطول الشعرة قليلة جدًا والغالب انهُ اذا طالت الشعرة لم يكثر التصافي واذا كثر التصافي قصرت الشعرة واذا بلغ القطن الامرين معًا اي كثرت تصافيهِ وطالت شعرتهُ فانهُ يخسر هذه الصفات سريعًا والقطن من النباتات التي تؤَثر فيها الخدمة والسماد كثيرًا فيمكن تنويعهُ بسهولة وقد ثبت انهُ اذا اختيرت التقاوي من اللوزات التي تفتح باكرًا صار القطن الناتج منها طويل الشعر الاَّ ان النوع الذي يزيد حملهُ كثيرًا تضعف قوتهُ الحيويَّة

وكانت العادة ان تؤْخذ التقاوي من وابورات الحلاجة اما الآن فيفتش عن الاشجار التي تظهر فيها احسن الصفات وتؤْخذ التقاوي من بزرتها. والمراد اختيار الاصناف الكثيرة التصافي التي شعرتها طويلة ودقيقة

خنّاق القطن

من الآفات التي تصيب القطن في القطر المصري مرض فطري يقع بجذر النبات عند اول ظهورهِ فيضعفهُ او يميتهُ وتدعو الحال الى كثرة ترقيع القطن وقد اطلق الفلاحون على هذه الآفة اسم خناق القطن. وقد اهتمت الجمعيَّة الزراعية الخديوية بالبحث عن سبب هذه الآفة والعلاج الشافي منها فوجدت ان سببها مادة فطرية كما تقدَّم وانهُ يمكن منع هذه الآفة بمزج تقاوي القطن قبل زرعهِ بالنفتالين وهو مادة كيماوية قوية الرائحة جدًّا تراهُ قشورًا دقيقة بيضاء يباع الرطل منهُ بنحو غرشين ويمتزج بالجبس وثمن الرطل من الجبس نصف غرش ويضاف هذا المزيج الى البزر ويخلط بهِ جيدًا فلا يعود المرض الفطري المشار اليهِ يظهر فيهِ الاَّ نادرًا وتبلغ مصاريف معالجة تقاوي الفدان اربعة غروش اذا اشتري النفتالين بمقادير كبيرة. ويحسن بالذين يبيعون التقاوي ان يخلطوها بمسحوق النفتالين والجبس على ما تقدم ويلزم لكل التقاوي التي تزرع في القطر المصري سنويًا نحو ٩٠٠ ظن من النفتالين

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب دعوات العصر

من الدعوات ما يدعى فيهِ الناس لقضاء عصر النهار من الساعة الرابعة بعد الظهر الى السادسة او السابعة ولا بدَّ من ان يُذكر ذلك في اوراق الدعوة ويذكر فيها ايضاً الالعاب التي يراد اللعب بها حينئذٍ وذلك في اسفلها · ويحق للمدعوين ان يحضروا في اية ساعة ارادوا من ساعات الدعوة · فاذا كان اليوم صحوًا ففي حديقة المنزل وتوضع للمدعوين موائد تحت الاشجار عليها المرطبات ونحوها او توضع لهم موائد في خيمة وتوضع عليها ما يلزم من الشاي والقهوة والليموناضة والاثمار والكعك والاشربة المبردة والمرطبة والسكاير ونحوها · ويكون في الحديقة او الخيم كثير من الكراسي والمقاعد ليستريح المدعوون عليها واذا كان اليوم ماطرًا فلا بدَّ من استقبال المدعوين في البيت ولكنهُ اذا كان شديد المطر تؤَجل الدعوة الى يوم آخر

ولا بدَّ لرب البيت وربة البيت من ان يستقبلا كل المدعوين والذين يأْتون معهم من الاصدقاء ويصافحاهم واحدًا واحدًا ومتى انقضى الوقت واخذ المدعوون في الانصراف وجب على كلٍّ منهم ان يودّع رب البيت وربة البيت ويشكرهما على فضلهما ولا داعي لهُ لان يترك ورقة زيارتهِ الاَّ اذا كان المدعوين كثارًا ولم يستطع ان يكلم رب البيت او ربة البيت وحينئذٍ فالمرأَة المتزوجة تضع ورقة من اوراقها وورقتين من اوراق زوجها والارملة تضع ورقة واحدة والاعزب ورقتين

حفظ الشعر وتقويتهُ

خير الوسائل لتقوية الشعر وحفظهِ ان يبرش بفرشاة كل يوم في المساء والصباح خمس دقائق وينظف جلد الرأْس دائمًا واذا كان الشعر شديد الجفاف قصفًا فلا بد من دهنهِ بقليل من الزيت او البوماده · ولا يحسن صبغ الشعر بصباغ مهما كان نوعهُ

الفاكهة في الصيف

"كُلِ الفواكه في ابَّانها" كلامٌ مأثور وحكمة انتجها الاختبار. ولقد كان عصر لم يكن طعام الانسان الاول فيهِ غير اثمار الاشجار وجذور النبات ولا تزال الاثمار والجذور طعام بعض قبائلهِ حتى الآن

والغذاء غير كثير في كل الاثمار ولكن فيها سكرًا سهل الهضم وهو سكر النبات وماءً نقيًّا وحوامض آلية ومواد اخرى مغذية وكلها في حالة صالحة للهضم حتى اذا كانت الاثمار ناضجة كانت كانها طعام مهضوم تمتصهُ المعدة والامعاء حالما يصل اليها

ومن الناس من يتعب من اكل الفاكهة وسبب ذلك انهُ يكثر منها جدًّا او يأكل قشرها من غير ان يمضغهُ جيدًا او يأكل الكثير منها بين الاكلين حينما تكون معدتهُ وامعاؤُهُ مشغولة بهضم طعامهِ العادي. ولو اقتصر على اكل الفاكهة وحدها او لو قلل طعامهُ الآخر واكل الفاكهة بدل ما قللهُ منهُ لما رأى صعوبةً في هضمها واما اذا شبع من الطعام ثم اكل الفاكهة فوقهُ فانهُ يتعب لانهُ يكون قد اكل فوق الشبع

وخلاصة المقال ان الفواكه الناضجة سهلة الهضم جدًّا بشرط ان تؤكل وحدها ولا تؤكل فوق الشبع. واما اذا مزجت بالخضر واللبن والزبدة والسكر ونحو ذلك من المواد فانها قد لا تعود سهلة الهضم لا لذاتها بل لما مزجت بهِ

واذا كانت الفواكه حامضة فلا بدَّ من مضغها جيدًا ليمتزج اللعاب بها ويعدّل حموضتها بفعلهِ القلوي. ولا يراد بالفواكه الحامضة ما يحلو اذا نضج كالحصرم وفرعون المشمش لان هذه يجب ان تترك حتى تنضج جيدًا وتحلو بل يراد الفواكه التي يبقى فيها شيءٌ من الحموضة ولو نضجت كبعض انواع التفاح فان التفاح الجيد الذي يبقى فيهِ شيءٌ من الحموضة ولو نضج مغذٍ جدًّا ولا يصعب هضمهُ الأ على الذين لا يمضغونهُ واذا مضغت الفاكهة وبقيت مع ذلك عسرة الهضم فالسبب من الاطعمة التي تؤكل معها لا منها فلتؤكل وحدها. والحامض القليل الذي في بعض الفاكهة من احسن المنظفات للقناة الهضمية والقاتلات للجراثيم المرضية. والذين جربوا عصير الاثمار في الحميات المنهكة كالتيفويد يفضلونهُ على خلاصة اللحم فانهُ ينعش الجسم ويميت الميكروبات

والفائدة الكبرى من الاثمار ناتجة عمَّا فيها من السكر فان سكرها نوع من النشاء المهضوم المعد لان يمتصهُ الجسم ولهذا السبب تجد الانسان ينتعش ايَّ انتعاش اذا كان متعبًا جدًّا

واكل برتقالةً او تفاحة او اجاصة او عنقود عنب او قطعة بطيخ لان السكر الذي فيها يدور في بدنهِ حالاً ويغذي الدقائق المنهكة من التعب

يقول الاوربيون ان الفاكهة ذهب في الفطور وفضة في الغداء ورصاص في العشاء يعنون انها تفيد كثيرًا في الصباح وتثقل في المساء · اما فائدتها في الصباح فلا نزاع فيها واما ما ينتج عنها من التعب في المساء فسببهُ اكلها بعد ان تمتلئ المعدة من الطعام الغليظ فلو اقتصر العشاء على القليل الخفيف من الطعام لكانت الفاكهة خير ما يضاف اليهِ

ولا بدَّ من كون الفاكهة ناضجة تمامًا فليس من الحكمة اكل الفج منها ولا سيما اذا كان حامضًا لانهُ يتعب المعدة والامعاء · واذا قطفت الفاكهة قبل ان تنضج واريد اكلها وجب طبخها قبل ذلك لكن الفاكهة الناضجة اسهل هضمًا واكثر غذاء من غير الناضجة ولا داعي لطبخها حينئذٍ كما يفعل بعض الاوربيين بل ان طبخها يذهب بلذتها ويجانب من فائدتها ولا يزيدها هضمًا

واذا كان لا بدَّ من طبخ الفاكهة وجب ان يقلَّل السكر الذي يضاف اليها على قدر الامكان اي سكر القصب لانهُ ليس مما يسهل هضمهُ · وبعض الفاكهة يؤْكل يابسًا اي زبيبًا كالزبيب الذي هو عنب مقدَّد والتين اليابس وكلاهما كثير الغذاء سهل الهضم يحسن ان يؤْكل ادامًا مع الخبز فيغذي الغذاء الكافي · وما اصح ما كان يقتات بهِ الاقدمون في زمن داود وسليمان والانبياء رغيف خبز وعنقود زبيب· طعام قليل لا يسمن ولكنهُ يغني عن جوع ويحفظ الصحة والقوة ولا يتعب المعدة

قلنا ان الفاكهة يجب ان تكون ناضجة لكي تفيد ونقول ايضًا انها يجب ان تكون ناضجة على امها لا مقطوفة عجراء ومتروكة زمانًا طويلاً حتى تنضج فانها تخسر حينئذٍ جانبًا كبيرًا من فائدتها وهو شأْن اكثر الفواكه التي يتاجر بها من بلاد الى أُخرى فانها ترسل عجراء فتنضج في اثناء الطريق ولكن شتان بينها وبين الفواكه التي تنضج على امها في طعمها ونكهتها

اكلنا قبل كتابة هذه السطور مشمشًا لوزيًّا قطف من حديقة في حلوان بعد ان نضج على امهِ فوجدنا حلاوتهُ لا تقل عن حلاوة العسل مع ان منظرهُ يدل على انهُ ليس من اجود انواع المشمش اللوزي ولا هو ناضج على مهل في حر معتدل · واكلنا بعدهُ مشمشًا لوزيًّا اتانا من بيروت وقد قطف عجرًا حتى لا يتلف في الطريق ومنظرهُ يدلُّ على انهُ من اجود انواع المشمش اللوزي كبير الحجم ابيض اللون مورَّد الخدين فوجدنا طعمهُ دون طعم الاول مع انهُ لو ترك يومين آخرين حتى نضج على امهِ لكان الذ فاكهة تحت السماء

والموز الذي يؤتي بهِ الى هذه العاصمة من جزائر الهند الغربيَّة هو من اجود انواع الموز والموز يقطف عادة قبلما ينضج لانهُ لا ينضج كلهُ دفعةً واحدةً ولكن هذا يقطف قبلما ينضج بكثير ولذلك تزول فكاهتهُ ولا يكون فيهِ نصف الحلاوة التي تكون فيهِ عادةً لو قطف حالما يشرع ينضج

وفي الموز ٢٥ في المئة من سكر الاثمار وغيرهِ من المواد المغذية فهو من اكثر الاثمار غذاء ويكاد يماثل الزبيب والتين اليابس من هذا القبيل والرطل من الموز الجيد يحوي من الغذاء قدر ما يحويهِ الرطل من اللحم واذا كان ناضجاً جيداً سهل هضمهُ على اضعف المعد

وقد شاع الآن تجفيف الموز الناضج وطحنهُ وعمل عصيدة من طحينهِ او شوربة وهي مغذية جداً وسهلة الهضم

والتمر من اكثر الاطعمة غذاء ولذلك لا نعجب اذا قيل لنا ان الرجل من الدراويش كان يقتات في يومهِ بقليل من التمر وحفنة من الذرة ويصبر على تحمُّل المشاق والاهوال لان التمر كلهُ غذاء. وكذلك التين الاخضر واليابس لا سيما وان في التين مادة نيتروجينية ايضاً تزيدهُ غذاء واذا اضيف الجوز واللوز الى الاثمار اليابسة كالتين والزبيب كمل الغذاء لاننا نكون قد جمعنا بين المواد الدهنية والسكرية والنيتروجينية

ومن العجب ان يوجد عند الناس خبز من القمح او ذرة وحبوب كالفول والعدس وفاكهة طرية كالعنب والتين والموز والبرتقال ويابسة كالزبيب والتمر والتين اليابس وهم لا يكتفون بهذه الاطعمة ويستغنون عن اللحوم والمعاجين وكل الاطعمة الغالية الثمن المتعبة للمعدة

وقد اثبتنا في الجدول التالي ما في انواع بعض الفاكهة من الماء والسكر والبروتيدات (اي المواد التي تكوّن اللحم) والمواد الهلامية

	ماء	سكر	بروتيد	هلام
التفاح	٨٥	٨	٠٫٥	٥
المشمش	٨١	٤٫٥	٠٫٥	٦٫٥
الموز	٧٧	٢٠	١٫٥	٠٠
الكرز	٨٠	١٠	٠٫٧	١٫٨
التمر	٣٨	٥٧	٣٫٠	٠٫٢
التين الاخضر	٧٩	١٨	١٫٥	٠٫٥

	ماء	سكر	بروتيد	هلام
التين اليابس	٣١	٥٠	٤٫٠	٢٫٠
العنب	٧٨	١٤	٠٫٦	٠٫٢
الزبيب	٣٢	٥٥	٢٫٥	٠٫٧
البرتقال	٨٧	٤٫٥	٠٫٨	
الشمام	٩٠	٨٫	٠٫٥	
البطيخ	٩٢	٧	١٫٠	
الخوخ	٨٠	٤٫٥	٠٫٧	٧٫٠
الكمثرى	٨٣	٨٫٢	٠٫٤	٣٫٣
الاناناس	٨٩	٨٫٩	٠٫٤	٠٫٢
البرقوق	٨٥	٣٫٦	٠٫٤	٤٫٦

ولا يخفى ان هذه المواد تختلف باختلاف اصناف النوع الواحد من الفاكهة فالتفاح اصناف كثيرة بعضها سكري كثير السكر وبعضها شرابي كثير الحوامض وكذلك المشمش اللوزي والحموي والكلابي اصناف كثيرة بعضها يسيل حلاوة وبعضها ناشف لا طعم فيهِ وقس على ذلك الموز والعنب والتين والبرتقال والشمام والبطيخ والخوخ (الدراقن) والكمثرى (الاجاص) فانها كلها ذات اصناف بستانية مختلفة في الجودة واجودها ما كثر سكرهُ ومائيتهُ ونكهتهُ وطعمهُ وهو اكثرها غذاء واسهلها هضماً

باب التقريظ والانتقاد

اعظم تذكار للعثمانيين الاحرار

لم يكد يُعلن الدستور في البلاد العثمانيَّة حتى قام كثيرون من العلماء يفتون بانهُ مطابق للشرع الشريف كانهم حسبوا ان الناس مرتابون في مطابقتهِ للشرع فقصدوا نزع الريبة من نفوسهم. ومن قبيل ذلك هذا الكتاب الذي وضعهُ احد علماء بيروت وهو كتاب نفيس اثبت فيهِ مؤلفهُ بالنصوص الصريحة على انواعها ان مجالس الشورى والحرية موافقة للشرع الشريف فاثبت مشروعية مجلس المبعوثان الشوروي باثنتي عشرة آية وقسم الحرية الى

اقسام مختلفة واستدلَّ على مشروعية كلٍّ منها بالآيات القرآنية ولم يكتفِ بذلك بل نسب الى المسيحيين اموراً ينكرونها فقال مثلاً ان الرهبان الَّفوا الرسائل ذيلاً للعهدين وجعل قولهم في صلاتهم " ابانا الذي في السماوات " من قبيل افتخار امة على أُخرى واشار الى ان في ذلك تذليلاً وتحقيراً لباقي الشعوب وسلباً لحرية نفوسهم. ونسي ان الكتاب الذي علَّم اتباعهُ ان يقولوا في صلوتهم ابانا الذي في السموات قال لهم ايضاً وخلق من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على وجه الارض وانهُ ليس عند الله محاباة بل كل من يفعل البر مقبول امامهُ . ولكن الجدل في هذه المواضيع لا يجدي نفعاً. والآن نحن نكتب هذه السطور وعلماء الشرع يصدرون الفتاوي في تقبيح ما فعلهُ اهالي اطنه وغيرها من ذبح مواطنيهم المسيحيين كأنهم فعلوا ذلك مدفوعين بدافع ديني . وما دام الناس يعتمدون على الدين في تحليل المعاملات وتحريمها نبقى في هذا التخاذل والتضاغن لانهُ اذا وجد العالم المستنير ادلة على اثبات امر وجد العالم المتنطع ادلة على نفيهِ . وقد اشتدَّ العداء واستحرَّ القتل لعلة الدين بين اصحاب المذاهب المختلفة من الدين الواحد بل بين اصحاب المذهب الواحد فما قولك بهم وهم من اديان مختلفة . ولا ندري لماذا لا يلتفت الناس في معاملاتهم الى اصول اخرى غير الاصول الدينيَّة. فاذا فتشت عن بنَّاء يبني بيتك لا تعتمد في اختيارهِ على آية كتابيَّة بل على مهارتهِ وامانتهِ واذا فتشت عن طبيب يطبب ابنك لم تعتمد من انتقائهِ على حديث نبوي بل على ما علمتهُ بالخبرة او بالخبر عن علمهِ وفضلهِ . والناس يعتمدون في زراعتهم وصناعتهم وتجارتهم على علومهم التي توصلوا اليها بالاختبار ولا يدخلون الدين فيها فلماذا لا يعتمدون في سياستهم على علمهم واختبارهم اي على ما هم متفقون فيهِ ومسؤولون عنهُ ولا يفلح الشرق الاَّ اذا فصل بين الدين والسياسة وترك كلاًّ منهما يسير سيرهُ الخاص بهِ. والكتاب حسن في اسلوبهِ شريف في غايتهِ وما اعتراضنا عليهِ الاَّ لان الاختبار يدلنا اننا ان جعلنا الدين اساساً لمسائلنا الاجتماعيَّة فلا تجد واحداً ينادي بالتأليف بين اعضاء الشعب الواحد لاسباب دينيَّة حتى تجد اثنين يناديان بالتفريق لاسباب دينيَّة . وكل ما ينادي بهِ علماء مصر والشام ممَّا يوجب التأليف بين اكبر ملتين في السلطنة العثمانية لم ينقذ واحداً من القتل ولكن ما نادى بهِ دعاة التفريق بعلة دينية اي دعاة التعصب قتل ثلاثين الفاً

ديوان رستم

بين الشعر الفصيح والشعر العامي من المواليا والزجل ونحوهما بون شاسع وقد كان ذلك

كذلك من قديم الزمان حتى يظهر لنا ان اللغة المعربة التي نكتب بها وقد كتب بها ابناء العربيَّة من اول زمن التدوين الى الآن لغة موضوعة او منقحة وان لغة التكلم او اللغة العامية كانت دائمًا اقرب الى اللغة العامية المستعملة الآن منها الى لغة الكتابة

وقد حاول كثيرون الجري على لغة متوسطة بين اللغة العربيَّة واللغة العامية اما بتهذيب العامية قليلاً حتى تقارب المعربة كما ترى في الزجل الذي نشرناهُ في الجزء الماضي من المقتطف في الكلام على دولة آل عثمان. او بادخال كلمات ومصطلحات عامية في اللغة المعربة لكي تصير اقرب تناولاً واسهل فهماً على العامة . ومن هذا القبيل قصائد ومقاطيع كثيرة في ديوان الشاعر العصري اسعد افندي رستم اللبناني مولدًا والاميركي دارًا كقولهِ في وصف الشوير مسقط رأسهِ

نحن الشور بين كم من معترك   فيهِ بلعنا الخصم مثل (الشّشبَرَك) !
ارباب شاقوفٍ تميد لهُ الثرى   فيدكُّ من اجبالها ما لا يُدَك
اصحاب جدٍّ في البلاد يهمنا   عملٌ وليس يهمنا (طق الحنك) !
نبني البيوت على اساسٍ راسخٍ   ليست تزعزعهُ المدافع والفشك
منا المؤلف والرياضيُّ الذي   لمؤلف افرنج شيئًا ما ترك
ولنا على صنين من اعمالنا   نورٌ يشاهدهُ البقاعي في الكرك
والفرق ما بين الشوير وغيرها   كالفرق ما بين الجواهر والتنك
والحمد للمولى نقيم بها ولا   في البرج او في ساحة تدعي السمك
هي في امانٍ لا يخدّش سمعنا   فيها سوى صوت الضفادع في البرك
وخلاصة الاقوال يا اصحابنا   ان الشوير تهز عمود الفلك !!

وقولهُ على اثر اجتماع بعض الجرائد العربيَّة في نيويورك لتوحيد جرائدهم

في (أستيفنٍ هوس) قد اجتمعوا   وجرت اشياء فاستمعوا
اخذوا ردُّوا رغبوا طمعوا   والكل بقدوتهِ غالى
إرخي إرخي لا لا لا لا
قالوا سنضمُّ جرائدنا   يومًا ونُعِمُّ فوائدنا
فيرى الرصفاء مكائدنا   ونعاين منا الاهوالا
اضرب واطرح لا لا لا لا
منهم من قال انا الراسُ   خضعت لمهابتيَ الناس

وبأنمله ارتفع الكاسُ   فانصبَّ (الوسكي) شلالا
آفيڤا توكا لا لا لا
قالوا من بعد ان اقترحوا   هذا يا اخوان القدَحُ
صبوا ليتمَّ لنا الفرَحُ   ويزيد البسط استكمالا
عندي عندكَ زلا لا لا

وقولهُ في التزوج بربة مال

صاحِ ان تقترن بربة مالٍ   وجمال تلفَ المعيشة مرَّه
دأبها ان تقول آلي ومالي   كلما الكوز دقَّ يوماً بجرَّه

وفي الديوان قصائد ومقاطيع كثيرة خالية من العامي وبعضها من بليغ النظم ويا حبذا لو خلا من بعض التهم الكاذبة التي يشيعها اوباش لا خلاق لهم كقوله مخاطباً اناساً في مخيلتهِ

وللدولة المحتلة القطر بعتمُ   مبادئكم بالمال والمال يفسدُ
وكيف يعد المرْءُ حرًّا وعندهُ   ضميرٌ بمال الانكليز يقيَّدُ

ولا ندري كيف يستحل رجل مثلهُ ان يتهم امةً جليلة الشان مثل امة الانكليز انها تشتري الناس بالمال وتقيد ضمائرهم وهي صاحبة الطول والحول والسيف والمدفع والفضل الاكبر على كل الممالك العثمانية . وقد كان نائبها في هذا القطر مثال العفة والاستقامة وسمو المبادىء الدينية . ولا نقول للناظم اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه لاننا نبرأُ الى الله ان نرمي بفاحشة من لا نعرفهُ ولا نعرف عنهُ شيئاً ولكننا نلوم كل من يستحل اتهام الناس تهماً كاذبة مثل هذه

والديوان كبير وفيهِ صور بعض الممدوحين ورسوم هزلية وقد صدرهُ الناظم برسمهِ

معجم الادباء لياقوت الحموي

الجزء الثاني

اهدى الينا حضرة الفاضل الاستاذ مرجليوث الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس وهو كالاول في حسن طبعهِ وتنقيحهِ يبتدئ باحمد بن علوية الاصبهاني الكرماني وينتهي بجودي بن عثمان . ومن الاعلام المشهورين الذين وردت ترجماتهم في هذا الجزء ابن مسكويه وابن عبد ربهِ والميداني والبلاذري وثعلب وابن صبيح واسامة بن مرشد واسحق الموصلي وابن مماتي والجوهري والصاحب بن عباد . وقد ملأَت ترجمة ابن عباد سبعين صفحة . والميكالي والمازني

وابن السرّاج وابن الفرات وابن قدامة الكاتب وغيرهم. وقد اسهب في ترجمة بعضهم كما تقدم واختصر في ترجمة البعض الآخر. ومما وقفنا عليهِ حديثاً ولم نرَهُ في هذا المعجم كتاب للامير اسامة ابن منقذ اسمهُ لباب الآداب الَّفهُ قبل وفاتهِ واهداهُ الى ابنهِ وقد وقعت لنا النسخة الاصلية التي كتبت للمؤلف واهداها الى ابنهِ سنة ٥٨٢ للهجرة كما ذكرنا في الصفحة ٩٥٣ من المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف

هذا واننا نقترح على حضرة الاستاذ مرجليوث ان يزيد نفع الكتاب ويلحقهُ بفهرس آخر تذكر فيهِ الاسماء مرتبة حسب شهرتها فيكتب الميداني في حرف الميم والبلاذري في حرف الباء وثعلب في حرف الثاء والجوهري في حرف الجيم والصاحب بن عباد في حرف الصاد وهلم جرًّا تسهيلاً للمراجعة ولو وضعت الاسماء في حقلين او ثلاثة من الصفحة الواحدة

والكتاب حسن الطبع والتجليد يحسن ان تتحلَّى بهِ كل المكاتب العربية

شرح المعلقات

ما اكبر الفرق بين هذا الكتاب والذي قبلهُ معجم الادباء من حيث جودة الورق والطبع والتجليد مع ان الذين طبعوا الكتاب الثاني بذلوا جهدهم على ما يظهر لجعلهِ في الدرجة الاولى بين الكتب المطبوعة في المطابع الوطنية بهذا القطر

والشرح للزوزوني المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة فهو من اقدم كتب الادب. ويليهِ شرح معلقة النابغة الذبياني ومعلقة الاعشى وقصيدتان للنابغة وهذه الشروح الاخيرة منقولة من الكتبخانة الخديويَّة ومقابلة على عدة نسخ وقد طبعت بمطبعة دار الكتب العربيَّة الكبرى على نفقة اصحابها مصطفى افندي البابي الحلبي واخويهِ. وشرح المعلقات السبع الاول مسهب كثير الفوائد اللغويَّة واما شرح المعلقتين الاخيرتين والقصيدتين اللتين تليانهما فعلى اتم الاختصار

درس الهندسة للسنة الثانية الثانوية

كتاب صغير لكنهُ جامع لكثير من القضايا الهندسية فان كان التلامذة لا يتعلمون غيرهُ من الهندسة في سنة كاملة فاشتغالهم بالهندسة قليل جدًّا فاننا كنا نعلم كتب اقليدس كلها في سنة واحدة ولا يرى التلامذة صعوبة في تعلمها. ثم ان رسوم هذا الكتاب لا يظهر الحروف فيها احياناً ففي رسم النظرية الثانية والثلاثين لم يظهر حرف الميم ولا ظهرت الخطوط التي يبرهن بها مساواة المربع الاصغر لمستطيل ل م ب ن وحبذا لو اختيرت الحروف الكبيرة الثخينة في كل كتب التعليم لكي لا تتعب في استيضاحها عيون التلامذة

ترجمة القس وليم هرفي

القس الدكتور وليم هرفي من خيرة القسوس الامركيين الذين اقاموا في القطر المصري وهو من بيت اسكتلندي هاجر بهِ ابواهُ الى اميركا في حداثتهِ فدرس في احدى مدارسها العالية واتمَّ دروسهُ سنة ١٨٦٢ ثم درس العلوم اللاهوتيَّة وأُرسل الى القطر المصري فوصلهُ في ٢١ دسمبر سنة ١٨٦٥ وقضى فيهِ بقية عمرهِ الى ان توفاهُ الله في العشرين من شهر نوفمبر الماضي فيكون قد قضى في هذا القطر ٤٦ سنة واعظاً ومعلماً بكلامهِ وسيرتهِ الطيبة . وقد جمع حضرة عبد الملك افندي تادرس الكدواني خلاصة ترجمتهِ وما قيل في تأبينهِ بالعربيَّة والانكليزيَّة في كتاب واحد ليكون تذكارًا لهُ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عقاب الطبيب والمحامي

مصر . الخواجه فكتور سيون بطيطو . هل يعاقب الطبيب اذا اخطأَ فقتل المريض بخطإهِ وهل يحاكم المحامي اذا اخطأَ فاضرَّ موكلهُ بخطائهِ . ومَن يطلب معاقبتهما ومن يحكم بخطائهما

ج . ذوو الشأن يطلبون معاقبة الطبيب فالمحكمة تعين ذوي خبرة من الاطباء ينظرون في الامر فاذا وجدوا ان الخطأ كان عن قصد او عن جهل فالقضاة يقدّرون العقوبة ولكن ذلك قلما يحدث لان الطبيب يقدر دائماً ان يجد وجهاً للدفاع كأَن يقول ظننت ان العلة كذا لا كذا فعالجتها حسبما تراءت لي . واذا اعترف بخطائهِ فخطأوهُ عن غير قصد وجزاؤهُ طفيف ولكن اذا ثبت انهُ ارتكب جناية لقصد سيء فيعاقب مثل غيرهِ من الجناة

واذا اخطأَ المحامي وشكا منهُ موكلهُ فالمحكمة تنظر في ذلك وتعاقبهُ ولجنة تأديب المحامين تحكم عليهِ بما يستحقهُ من التوقيف او الشطب

(٢) مذهب دارون وأطفال الناس

الفيوم . ج . م يقتضي مذهب دارون ان يكون الارتقاءُ من الادنى الى الاعلى وحيث ان الانسان زبدة المخلوقات فيجب ان يكون اقوى منها في كل شيءٍ واذا كان الامر كذلك فلماذا نرى طفل الانسان اضعف من اطفال اكثر الحيوانات أليس ذلك مناقضاً لمذهب دارون

ج . ليس من الضروري ان يكون كل ما في الانسان اقوى من كل ما في الحيوان فعقل الانسان ارقى من عقل الحيوان ويد الانسان ارقى من يد الحيوان ولكن انياب الانسان ليست اقوى من انياب الاسد وسمعهُ ليس احد من سمع الارنب وشمهُ ليس اقوى من شمّ الكلب وبصرهُ ليس احد من بصر النسر. وليس من الضروري ان يكون الانسان قد ارتقى من حيوان صغارهُ قوية كصغار الخيل والبقر ولا من حيوان قوي الجسم كالاسد والنمر بل المرجح انهُ تولَّد من حيوان ضعيف الجسم لان قوة الجسم تدعو الى شدة الخصام وبعد الحيوانات بعضها عن بعض واما ضعف الجسم فيدعو الى الالفة واعمال الحيلة فتقوى بهِ المراكز العقلية ويظهر لنا ان طفل الانسان المتوحش اقوى قليلاً من طفل الانسان المتمدن اي ان شدة الاعتناء بالاطفال وقلة احتياجهم الى السعي اضعفا بنيتهم ورسخ هذا الضعف فيهم بالوراثة

(٣) قوة الدولة الحربية

حوران المزيريب . نعيم افندي الخوري . نظرت في باب الاخبار العلمية في الصفحة ٤١٢ من المجلد الرابع والثلاثين جدولاً فيهِ محمول السفن الحربيَّة لكل من الدول البحريَّة ولم اجد ذكرًا لدولتنا العثمانية فما هي قوة عمارتها البحريَّة

ج . لم تذكرها لان دولتنا لا تعد الآن من الدول البحرية ولكنها من الدول البريَّة وليس ذلك بضائر فان روسيا لم تعد الآن من الدول البحريَّة والنمسا ليست من الدول البحريَّة ومع ذلك عند الدولة الآن طرادان محميان محمول كلٍّ منهما ٣٢٥٠ طنًّا وسرعتهُ ٢٢ ميلاً بحريًّا وقد اصلحت المدرعة مسعودية وفيها الآن مدفعان قطر فوهة كلٍّ منهما ٩ بوصات وعشرا البوصة و١٢ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وتزيد سرعتها على ١٧ ميلاً بحريًّا وعندها مدرعات اخرى ولكنها قديمة لا تحسب بين مدرعات هذه الايام . واذا ارادت ان تنشئ لها اسطولاً جديدًا لزمها ان يتفق على ذلك مليونين او ثلاثة ملايين من الجنيهات كل سنة على الاقل لان البارجة الواحدة من طراز الدردنوط يكلف بناؤُها مليوني جنيه

(٤) صور السماء

الاسكندرية . احمد افندي السيد . وعدتم في الصفحة ٦١ من المجلد الثالث

والثلاثين بانكم ستنشرون في جزئين تاليين رسالة عربية في صور السماء وتعلقون عليها شرحاً وجيزاً وللآن لم تنجزوا هذا الوعد فنرجو التكرم بانجازهِ

ج . الرسالة العربية امامنا الآن وكنا عازمين ان نعلق الشرح عليها من كتاب انكليزي قديم في علم الفلك يذكر فكاهات كثيرة عن صور السماء ولكننا فتشنا عن الكتاب حين الحاجة اليهِ فلم نجدهُ ولا نتذكر اسم مؤلفهِ وسنفتش عنهُ جهدنا لعلنا نجدهُ ونقوم بوعدنا

(٥) اسماء صور السماء

ومنهُ . باطلاعنا على ما قالهُ العلاَّمة القزويني في كتاب عجائب المخلوقات عن شرح صور السماء الشمالية والجنوبيَّة والبروج وجدناهُ قريباً مما جاء في شرح صور السماء في الاطالس الانكليزية والفرنسوية فهل المصدر الذي اخذ منهُ القزويني هو المصدر الذي نقل عنهُ فلامريون الفلكي الفرنسوي وغيرهُ وهل كتاب المجسطي لبطليموس هو المعول عليهِ للآن في شرح صور السماء ولماذا صورت بعض مجاميع النجوم بصور الحيوانات كالحمل والثور وبعضها بصور غيرها كالميزان والسنبلة

ج . ان الاصل واحد كما قلتم فان العرب نقلوا علم الفلك عن اليونان واخذوا عنهم صور مجاميع النجوم واسماءها وكذلك الاوربيون نقلوا عن اليونان وعن العرب ايضاً . واليونان نقلوا عن المصريين والكلدانيين ولا يعتمد الآن على كتاب المجسطي في علم الفلك ولا يعلم لماذا سمى الاقدمون هذا المجموع من النجوم حملاً وذاك ثوراً وذلك اسداً وهلمَّ جرًّا ولكنهم لو لم يسموها بهذه الاسماء لسموها بغيرها من اسماء الحيوانات والاشياء المألوفة عندهم . والظاهر ان اختلاط الامم بعضهم ببعض في الازمنة الغابرة بالحروب والاسفار جعل بعضهم يقتبس تلك الاسماء من غيرهِ فاتفقوا في بعضها واختلفوا في البعض الآخر فمعنى اسم الثريا في المصرية القديمة الكثرة لكثرة نجومها وفي الهندية الدجاجة وفراخها وفي لغات هنود اميركا الرجال والنساء في حلبة الرقص . والمجرَّة معنى اسمها العربي اثر جر الحبل ومعنى اسمها في الصينية نهر السماء وعند بعض هنود اميركا طريق النفوس . والدب الاكبر يسميهِ العرب بالنعش وبناتهِ ومعناهُ في السنسكريت المركبة واسم المركبة فيها شبيه باسم الدب ولعلَّ اليونان اخطأوا فحسبوا ان الدب اسمهُ فسموهُ دبًّا بلغتهم . والاسكيمو يسمونهُ ايَّلاً والهنود فيلاً ويقولون انهُ في صورة الفيل

(٦) اصل الحياة

ومنهُ . لقد ثبت بالدليل ان الكرة الارضية كانت في اول نشأتها سديماً او مادة في حالة الغازية لا تصلح لحياة النبات والحيوان وعُلم بالبرهان ان الحياة لا يمكن توليدها

الاَّ بالتناسل من حي سابق فما هو تعليل وجود النبات والحيوان والانسان على الكرة الارضية

ج . ان كل ما حسبتموهُ مثبتاً بالبرهان والدليل ليس مثبتاً لا بالدليل ولا بالبرهان بل هو مرجح ترجيحاً فالارض يرجَّح انها كانت سديماً ويحتمل انها كانت مواد جامدة من اصلها . ولم يعلم بالبرهان ان الحياة لا يمكن توليدها الاَّ بالتناسل لان البرهان لا يقوم على القضايا السلبيَّة وجهد ما يقال اننا لا نعرف ان حيًّا تولَّد في ايامنا الاَّ بالتناسل من حي آخر ولكن هذا لا ينفي ان يتولَّد الحي من غير الحي في احوال اخرى غير الاحوال التي نعرفها . والظاهر من درس احافير الارض انها لما صلحت لمعيشة الحيوان والنبات ظهرت فيها حيوانات ونبات بسيطة التركيب دنية الرتبة جدًّا لا تكاد تفرق عن بلورات الجماد ثم زادت انواع هذه الحيوانات والنباتات وكثرت تراكيبها وارتقت انواعها على مر العصور . ولا يعلم الآن كيف تولَّدت الحيوانات الاولى والنباتات الاولى ولم يهتدِ العلماء الى ايجاد احوال مثل تلك الاحوال تتولَّد فيها اجسام حيَّة من اجسام غير حية ولكنهم سائرون في هذا السبيل

(٧) عدد الاقباط

نيويورك . الخواجه متري نجار . كم عدد الاقباط في القطر المصري

ج . ٧٠٦٣٢٢ حسب الاحصاء الاخير

(٨) باكر صبوحك

ومنهُ . لمن القصيدة التي مطلعها "باكر صبوحك خير العيش باكرهُ"

ج . لكمال الدين ابن النبيه

(٩) ري العراق

ومنهُ . كيف يمكن الحصول على تقرير السر وليم ولككس المهندس على ري العراق

ج . بلغنا ان النسخ التي طُبعت منهُ نفدت كلها حتى ان صديقاً لنا اراد ترجمتهُ الى الفرنسويَّه فلم يجد غير نسخة واحدة عند المؤلف فاستعارها منهُ

(١٠) رواية التعساء

ومنهُ . هل ترجمت رواية التعساء لفكتور هيجو الى العربيَّة

ج . ترجم جزءًا صغيرًا منها حافظ افندي ابرهيم الشاعر المصري المشهور وطبعهُ ولم نعد نسمع انهُ طبع غيرهُ او اتمَّ ترجمتها او ان غيرهُ ترجمها

(١١) الخوف

جاميكا . وندسور كاسل . الخواجه شحاده خليل مالك . لماذا يخاف الانسان وهل الخوف يشمل الناس كلهم وهل يعمُّ الحيوان والنبات

ج . الخوف طبيعي في الانسان والحيوان تولَّد من ملكة حفظ النفس والهرب من الخطر اي اذا وجد في مكان مئة حيوان وهرب خمسون منها من الخطر والخمسون

الاخرى لم تهرب منهُ فسلامة الاولى مضمونة اكثر من سلامة الثانية وبقاء نسل الاولى اضمن من بقاء نسل الثانية فتزيد فيها صفة الهرب من الخطر رويدًا رويدًا لانها مفيدة لحفظ النسل · والظاهر ان هذه الصفة اي الخوف او الابتعاد عن الخطر موجودة جراثيمها في النبات فترى الصنوبر يثخن قشرهُ لكي ينجو من برد الشتاء والسنط يطبق وريقاتهِ في النهار لكي لا يكثر التبخُّر منها ومن المرجح ان النبات لا يشعر بما يفعل كما ان معدنا تعمل ونحن لا نشعر بعملها اذا كانت في حال الصحة

(١٣) المطر والبحر

ومنهُ · من المشهور ان الطبيعة لا تأتي بشيء ليس منهُ منفعة فما هي المنفعة من سقوط المطر فوق البحار

ج · في هذا القول تجوُّز كثير فان بعض اعمال الطبيعة غير نافع او هو نافع للبعض وضار للبعض الآخر فلا نعلم ما هو نفع الطاعون والكوليرا لانهما لا ينفعان الانسان ولا الحيوان الَّا اذا قيل ان الدود يغتذي بجيف الموتى بهما واشجار المقابر تغتذي من ابدانهم المدفونة فيها · وحرارة الشمس تقع على الكرة الارضيَّة كلها برها وبحرها فيصعد جانب كبير من مياه البحار بخارًا وينعقد مطرًا فاذا وقع كلهُ على الارض خربها فيقع بعضهُ على البر وبعضهُ على البحر ولكنهُ لا يدرك انهُ يخرب البر اذا وقع كلهُ عليهِ فيقع اكثرهُ على البحر ولا يتبع في وقوعهِ قاعدة معلومة بل يجري حسب الفواعل الكثيرة التي تؤَثر فيهِ واكثرها راجع الى اختلاف حرارة الشمس وما يحدث فيها من الانواء

(١٤) الفضيلة والرذيلة

ومنهُ · اجمع الكتَّاب على تحقير الرذيلة وفاعليها والحث على فعل الخير والفضيلة فهل من الممكن ان يتبع الجميع نصائحهم ويعملوا بها وهل يقوم هذا الكون من غير شر ورذيلة وهل الانسان مطالب عن افعالهِ لدى القوانين الطبيعية

ج · لا يبعد ان تقل الشرور رويدًا رويدًا لانها غير نافعة فيبقى النافع الصالح للبقاء وتتبع نصائح ذوي الفضيلة ويعمل بها · ولا شيءَ يمنع الكون من ان يصير ولا شرَّ فيهِ على الاطلاق · وقوانين الطبيعة صارمة تطالب الانسان فيضطر ان يخضع لها فالذي يكثر من الطعام يتَّخم والذي يكثر من الحركة يتعب والذي يدور على نفسهِ يصيبهُ الدوار · والانسان يحاول ان يضعف سلطة هذه القوانين عليهِ فيمرّن العدَّاء رجليهِ على المشي حتى لا تتعبا والدرويش جسمهُ على الدوران حتى لا يصاب بالدوار ولكن لمقاومة الجسم حدٌّ لا يتعداهُ كجسر الحديد يحمل الاثقال ولا ينكسر ولكن ذلك الى حد محدود فاذا تجاوزنا ذلك الحد وحملناهُ اكثر من طاقتهِ انكسر حتمًا

(١٤) اعلان الدستور العثماني

سان فوس بالبرازيل . الخواجه موسى الحداد . لمن الفضل الاكبر في اعلان الدستور العثماني اللاتراك ام للسوريين

ج . الفضل في ذلك لجمعيَة الاتحاد والترقي واكثر اعضائها من الاتراك والالبانيين

(١٥) مشابهة العربية الانكليزية

ام درمان . عبد الله افندي العربي . نرى مشابهة كبيرة بين بعض الكلمات العربية والكلمات الانكليزية لفظاً ومعنًى مثل guide قائد و good جيد و cat, قطة و tail ذيل و gain جنى فما هو سبب هذه المشابهة واي اللغتين اقتبست من الاخرى

ج . بعض هذا التشابه جاء اتفاقاً كما في كلمة guide فانها مشتقة من كلمة witan القوطية ومعناها راقب وعرف ولا علاقة لها بقائد العربية وبعضها من اصل واحد مثل cat الانكليزية فانها من catus اللاتينيَّة ولا يبعد ان يكون العرب نقلوها عن الروم في سالف عهدهم . والكلمات التي اقتبسها العرب من الانكليزية قليلة وكلها حديث لا يوجد في كتب اللغة ككلمة ورشة فانها من workshop الانكليزية وهي خاصَّة بآلالات والمعامل والكلمات التي اقتبستها الانكليزية من العربية بعضها قديم مثل zenith فانها من سمت العربية وبعضها حديث مثل shadoof و seifi

(١٦) عدد العناصر

مديات (ما بين النهرين) . الخواجه عمانوئيل قرياقس اناويس . كم يبلغ عدد العناصر المكتشفة الى الآن

ج . نحو ثمانين عنصراً

(١٧) القوة المغنطيسية

ومنهُ . هل تظهر القوة المغنطيسيَّة في غير الحديد من المعادن وهل يجذب المغنطيس غير الحديد

ج . نعم تظهر في معادن كثيرة ولاسيما النكل والكوبلت . والمغنطيس يجذبها كما يجذب الحديد

(١٨) القوة المغنطيسية في الارض

ومنهُ . ما الذي يرتئيهِ العلماء من جهة القوة المغنطيسيَّة في الارض هل هذه القوة قائمة في معدن الحديد او في مادة الكرة الارضية كلها

ج . في مادة الكرة الارضية كلها وسببها حرارة الشمس وفعلها بالارض وجوها ودوران الارض على محورها

(١٩) اسماء المدن والقرى

ومنهُ . ان بعض المدن والقرى في القطر المصري يسمَّى باسماء سريانية مثل كفر الدوار وكفر الزيات وكفرطا ومعناها قرية الفلاح وقرية الزيات وقرية النحس فما سبب ذلك

ج . لقد سكن القطر المصري شعوب سامية من قديم الزمان لغتهم العبرانية والسريانية فسموا بعض قراها باسماء من لغاتهم

باب الاخبار العلمية

المجلد الرابع والثلاثون

لقد كبر جرم المقتطف فصار يصعب تجليد اجزاء السنة كلها في مجلد واحد ولذلك رأينا ان نقسم كل سنة الى مجلدين لكل منهما فهرس خاص بهِ . وقد نشرنا مع هذا الجزء فهرس الاجزاء الستة الاولى من هذه السنة لتكون المجلد الرابع والثلاثين وستكون اجزاء الستة الاشهر التالية المجلد الخامس والثلاثين

ثروة انكلترا والمانيا

يكثر الكتَّاب الانكليز في هذه الايام من المقابلة بين انكلترا والمانيا في كل شيء لانهم يخشون نشوب الحرب بينهما ويقولون ان التأهب للحرب يمنع نشوبها . وقد بيَّن احد الكتاب الالمانيين ان المانيا صارت اغنى من بريطانيا فقد كانت ثروة بريطانيا تقدَّر باثني عشر الف مليون وخمس مئة مليون جنيه وثروة المانيا بعشرة آلاف مليون جنيه فقط اما الآن فثروة بريطانيا تقدَّر بخمسة عشر الف مليون جنيه وثروة المانيا بسبعة عشر الف مليون وخمس مئة مليون جنيه . ومن رأي احد كتَّاب الانكليز ان الفرق بينهما اكثر من ذلك اي ان المانيا اغنى ممَّا تقدم والضرائب التي يدفعها شعبها اقل من الضرائب التي يدفعها الانكليز والنفقات التي ينفقها الانكليز على حربيتهم وبحريتهم اكثر ممَّا تنفقهُ المانيا على حربيتها وبحريتها بنحو ستين في المئة فهي تقدر ان تنفق على زيادة بوارجها اكثر من الانكليز

الجامعات الاميركية

في الجامعات الاميركية ٢٢٩٠٠٠ تلميذًا و٢١٠٠٠ استاذ ومعاون . ويدفع هؤُلاء التلامذة اجرة تعليمهم ٢٢٧٠٠٠٠ جنيه كل سنة ويبلغ دخل هذه الجامعات من املاكها واوقافها اكثر من ثمانية ملايين جنيه في السنة

الطيران من اوربا الى اميركا

سُئل تسعة من اشهر المشتغلين بمسألة البلونات والطيارات هل في الامكان السفر من اوربا الى اميركا بآلة طيَّارة فاجابوا كلهم ما عدا واحدًا ان ذلك في حيز الامكان

قال الاول وهو الكونت هنري دولافول ان ذلك ممكن ولكن اكثر الاحياء الآن لا يرونهُ

وقال الثاني وهو المسيو ده لاغرانج ان ذلك ممكن حتماً وسيتم فعلاً باسرع مما يظن الاكثرون

وقال الثالث وهو المستر برسفال سبنسر ان ذلك من الامور السهلة

وقال الرابع وهو الماجور بادن پول ان ذلك الآن من الاحلام

وقال الخامس وهو المستر رولس انهُ يقع ولكن ليس في ايامنا ولا يتم الاَّ بعد ان تصير الطيارات قادرة على حمل مقادير كثيرة من الوقود ومن الآلات التي تحتاج اليها حين الضرورة

وقال السادس وهو الكبتن وندهام ان ذلك يتم في سنوات قليلة ولا يعود ينظر اليهِ كاعجوبة من اعاجيب الدنيا

وقال السابع وهو المستر جرام مكسم ان ذلك ممكن اذا اخترع احد آلة لا يضيع نصف قوتها في ما يوقد فيها

وقال الثامن وهو المستر هوجس بطلر ان ذلك سيتم حتماً يوماً ما

وقال التاسع وهو المستر ادج ان ذلك سيتم ويشيع حتماً يوماً ما

ويظهر مما كتبوهُ بالتفصيل ان شكوك المشككين في امكان الطيران الآن لا تزيد على شكوك الذين كانوا يقيمون الادلة الحسابيَّة على انهُ يستحيل قطع الاوقيانوس بالسفن البخاريَّة

الشعر الصناعي

سئلنا منذ شهرين عن الشعر العارية الذي يصل بعض النساء شعرهنَّ بهِ والذي تصنع منهُ المنشات هل هو طبيعي او صناعي فاجبنا انهُ طبيعي لان الذين كتبوا عن الشعر العارية لم يقولوا ابداً انهُ صناعي ثم اتفق لنا ان اشترينا مذبَّة لما كثر الذبان فوجدنا ان اكثر شعرها صناعي والطبيعي منهُ قليل جداً ولا يظهر الفرق بينهما الاَّ بالامتحان فاذا شددت بالشعرة الطبيعيَّة رأيتها متينة تكاد تجرح يدك ولا تنقطع واذا شددت بالشعرة الصناعية رأيتها قليلة المتانة تنقطع بسهولة ونظن الآن ان بعض الشعر الذي يباع للنساء صناعي مثل هذا

نفقات المسكرات

طلبت الدوما (مجلس النواب الروسي) ان تزال علامة العقاب الامبراطورية عن قناني المسكرات ويوضع بدلاً منها رسم جمجمة وعظمتين ويكتب تحتها كلمة "سم" بحروف كبيرة . وقد اخذ اهالي باريس يلصقون في شوارعها اعلانات كبيرة يقال فيها ان مَن يضع مسكراً في فيهِ ينزع دماغهُ من رأسهِ ومالهُ من كيسهِ وصحتهُ من جسمهِ . وقد قلَّت مقطوعية المسكرات في بلاد الانكليز في العام الماضي بما يساوي ستة

ملايين من الجنيهات . وأُقفل الاميركيون احد عشر الف حانة سنة ١٩٠٨ ونحو ذلك سنة ١٩٠٧ . واذا استمرَّ اقفال الحانات على هذا المعدَّل أُقفلت كلها من الولايات المتحدة الاميركية في عشرين سنة . فاذا تمَّ لها ذلك فمنهُ نفع لا يقدَّر لان اهاليها انفقوا في السنة الماضية على المسكرات مئتي مليون جنيه وفي السنة التي قبلها مئة وثمانين مليون جنيه

الوطنية في اليابان

كتب مدير مجلة الشرق الاقصى ان دَيْن حكومة اليابان يبلغ الآن ٢٢٣ مليوناً من الجنيهات وان دخل البلاد السنوي كلهُ لا يزيد على ٢٠٠ مليون جنيه فدخلها قليل جدًّا بالنسبة الى دينها والى نفقاتها ويضطر اليابانيون ان يعطوا نحو ثلث دخلهم للحكومة سنويًّا ولكنهم يفعلون ذلك عن طيب نفس لشدة وطنيتهم

البيوت المسكونة

يعتقد بعض الاوربيين ولا سيما الانكليز ان بعض البيوت القديمة مسكون تتردد عليهِ روح واحد من الذين قتلوا او ماتوا فيهِ وتظهر للذين يبيتون فيهِ والغالب انهم يهجرون تلك البيوت ولو كانت قصوراً مشيدة خوفاً من ان هذه الارواح تؤْذي من يبيت فيها . وقد بحث الاستاذ لمبروزو الايطالي في هذا الموضوع الآن وحقق الادلة المقامة على سكن تلك البيوت فاستنتج انها مسكونة حقيقةً تسكنها ارواح بعض الاموات . والظاهر ان الاستاذ سلَّم بكل دعاوي اصحاب الارواح وسبحان من قسم العقول

زلزلة سان فرنسسكو

ذكرنا غير مرة ان سبب زلزلة سان فرنسسكو انقداد جانب من الارض وهبوطهُ قليلاً وهذا هو السبب الغالب للزلازل . وقد حسبوا ان الجانب الذي انقدَّ فحدثت منهُ زلزلة سان فرنسسكو تبلغ مساحتهُ اكثر من مليون ميل مكعب

الادوات المسحورة

في دار التحف البريطانية تابوت مصري قديم لكاهنة آمن را ويقال انهُ مسحور وكل الذين اتصلوا بهِ كان نحساً عليهم . وقد بحث الدكتور هرتمن في امرهِ فقال انهُ كذلك لان روحاً من الارواح اختارت ان تجمع قوتها فيهِ وتستعملهُ واسطة للاضرار بالناس . ومن الغريب انك تجد بعض علماء الانكليز يصدقون هذه الخرافات

تعقيم الماء بالنور

ومياه القاهرة

وجد بعضهم ان نور المصباح الكهربائي الذي فيهِ بخار الزيبق يقتل الميكروبات

لان اشعتهُ فوق اشعة البنفسجي · وقد عُلق مصباح قوتهُ ٩ امبر في برميل من الحديد مملوءٍ ماءً فقتل كل ما فيهِ من الميكروبات في دقيقتين من الزمان · وثبت بعد التجارب الكثيرة ان هذا المصباح يقتل كل الميكروبات العادية في دقيقة من الزمان · ولا بدَّ من ان يكون الماءُ صافياً لكي تخرقهُ اشعة النور بسهولة والماءُ المعقم كذلك لا ترتفع حرارتهُ الاَّ جزءًا صغيرًا من الدرجة ولا تتغير خواصهُ ويقال انهُ يمكن تعقيم مياه المدن بهذا النور فتوضع المصابيح المشار اليها في المواسير الكبرى التي يجري فيها الماءُ اولاً بحيث يتعرض كلهُ للنور دقيقتين من الزمان وذلك بعد ترويقهِ فتموت منهُ كل الميكروبات التي كانت فيهِ

وعسى ان تجرب الحكومة المصريَّة ذلك فاذا ثبت لها ان ماء النيل يتنقى من كل الميكروبات بسهولة بهذه المصابيح لم يبقَ ما يمنع العود الى مياه النيل لشرب سكان العاصمة وشرب كل مدن القطر

سيَّار ابعد من نبتون

لا يخفى ان اثنين من علماء الفلك استدلاَّ على وجود السيار نبتون من الاضطراب الذي يحدث في السيَّار اورانوس · ويحدث اضطراب في حركات نبتون تدل على وجود سيَّار آخر ابعد منهُ عن الشمس ومعرفة ذلك بالحساب صعبة جدًّا لطول العمليات الحسابيَّة الاَّ ان الاستاذ بكرنج الفلكي استخدم الطريقة الحسابيَّة الجديدة وهي الطريقة الرسميَّة تحسب بها اولاً مبادئ نبتون من اضطرابات اورانوس فوجد نتيجتها تنطبق على ما عرف من امر نبتون بالحساب العادي تحسب بها مبادئ هذا السيار فوجد ان طولهُ ٨ و ١٠٥ ومتوسط بعدهِ عن الشمس ٩ و ٥١ بعد الارض عنها وهو يكمل دورتهُ حول الشمس في ٣٧٣ سنة ونصف سنة فيدور كل سنة نحو ٩٦٤ و٠ الدرجة وجرمهُ $\frac{١}{٦٦٨٠٠٠}$ من جرم الشمس وهو مضاعف جرم الارض

البيسة او بقر الوحش

البيسة كلمة سودانية لنوع من الظباء البيض الطويلة القرون ويسمى في علم الحيوان Oryx beisa وهو مرسوم في الآثار المصرية القديمة ورسومهُ كثيرة تدل على انهُ كان موجودًا بكثرة في القطر المصري ولا يوجد الآن الاَّ في السودان واسمهُ باللسان المصري القديم ماعز فهل كلمة ماعز العربية مأخوذة من كلمة ماعز المصرية

جبال القمر ومصدر النيل

ذكر الشهير بطليموس في جغرافيتهِ ان النيل يجري من ثلوج جبال القمر في قلب افريقية وترجمت جغرافيتهُ الى العربية وضبطت

كلمة القمر في بعض النسخ بضمة وسكون فقيل القُمْر . وظن بعض الباحثين ان الكلام على هذه الجبال مقحم ادخلهُ العرب في جغرافية بطليموس ولكن لما اكتشف ستنلي جبل رونزوري في قلب افريقية قال انهُ هو جبل القمر الذي ذكرهُ بطليموس وجغرافيو العرب وقالوا ان النيل يجري من ثلوجهِ وقد سمعنا هذا القول من ستنلي نفسهِ . ثم رأى هذا الجبل كثيرون بعد ستنلي وتحققوا ان منبع النيل في حضيضهِ ورأوا قننهُ مغطاة بالثلج وانهر الجليد تجري على جوانبهِ وفي جملتهم دوق البروزي الذي قصدهُ سنة ١٩٠٦ كما انبأنا في حينهِ وصعد الى اعلى قنة من قننهِ فوجد ارتفاعها ١٦٠٨٠ قدماً فوق سطح البحر فسماها قنة ستنلي وفيها اكمة تعلو عنها ٧٣٥ قدماً سماها اكمة مرغريتا وكانت هي وكل القنن العالية مغطاة بالثلج . ويبقى الثلج عليها على مدار السنة فان حدّهُ الاسفل هناك حينما يكون على اقلهِ ١٤٧٠٠ قدم فوق سطح البحر اي ان ٢١١٥ قدماً من ذلك الجبل تبقى مغطاة بالثلج على مدار السنة

الاهتمام بالمستقبل

يدَّعي الانكليز انهم يدينون بدين من علَّم قائلاً لا تهتموا للغد وهم مع ذلك يهتمون ليس للغد فقط بل لما يأتي بعد خمس مئة سنة او اكثر فقد قال السر وليم رمسي الكيماوي بالامس ان حياة الامم تتوقف على ما في بلادها من القوة الطبيعيَّة التي تستطيع استخدامها والقوة الطبيعيَّة في بلاد الانكليزيَّة هي الفحم الحجري المذخور في طبقات ارضها . وقد بينت اللجنة التي انتدبت للبحث عن مقدارهِ انهُ يكفي ثلثمئة سنة الى ثمانمئة سنة والمتوسط نحو خمس مئة سنة فاذا لم يقتصد في استخراجهِ واستعمالهِ من الآن فالذين يولدون في البلاد الانكليزيَّة بعد خمس مئة سنة لا يجدون فيها الفحم اللازم للوقود ولادارة الآلات وليس في البلاد قوة مائية يمكن الاستغناء بها عن الفحم الحجري ولو كان فيها لما اغنتها عن الفحم لان القوة المائية التي في اوربا كلها ما عدا بعض انهار روسيا تقدر بمليوني حصان والانكليز يستعملون في آلاتهم كلها قوة بخاريَّة تقدر بمئة مليون حصان . ولا ينتظر ان يستنبط شيء يقوم مقام الفحم الحجري فان الآلات التي تصنع لاستخدام قوة مد البحر تكسرها الانواء والآلات التي تصنع لاستخدام حرارة الشمس تكسّرها العواصف ولا يبقى الاَّ سبيل واحد لايجاد القوَّة وهو ان تحفر آبار عميقة جدًّا الى حيث يكون الماءُ غالياً فيصعد منها ماءٌ غالٍ يدير الآلات البخارية . واذا لم يأخذ الناس اهبتهم من الآن ويهتموا بالمستقبل خربت البلاد وصارت مدينة لندن قرية يسكنها صيادو السمك

الفحم الحجري في اوربا

قيل في النبذة السابقة ان الفحم الحجرى الذي في بلاد الانكليز لا يكفيها اكثر من خمس مئة سنة ثم رأينا ان اللجنة التي انتدبت للبحث عن مقدار الفحم الحجري في انكلترا والمانيا وفرنسا وبلجيكا وهي اكثر البلدان فحماً وجدت ان مقدار الفحم في انكلترا ١٤٠٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن في السنة نحو ٢٦٨ مليون طن. وفي المانيا ١٥٠٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن ٢٤١ مليون طن. وفي فرنسا ١٧٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن ٣٦ مليون طن وفي بلجكا ١٦٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن نحو ٢٣ مليون طن. والفحم الذي يستخرج من بلاد الانكليز يصدر منهُ كل سنة نحو ٦٤ مليون طن تأخذ المانيا منها ١٤ مليون طن

البطر في اميركا

كتبت احدى السيدات في مجلة الفورم الاميركية ان اهالي الولايات المتحدة قد بطروا بطراً يفوق الوصف في ما يبدونهُ من الصياح والجلبة في اعيادهم كعيد الحرية وعيد رأس السنة فانهم يخرجون الى الشوارع حينئذٍ يطبلون ويزمرون ويصيحون ويجلبون ويحرقون الالعاب النارية. وقد انفق اهالي مدينة نيويورك على هذين العيدين اخيراً مليونين و ٨٠٠ الف جنيه وقُتل بالعابهم النارية ١١ نفساً وجُرح ٧٦٨ نفساً. وقتل في الولايات المتحدة كلها في عيد ٤ يوليو الماضي اي عيد الحرية ١٦٣ نفساً وجُرح ٥٤٦٠ نفساً وقتل في الستة الاعياد الماضية من اعياد الحرية ١٣٠٠ نفس وجُرح ٢٨٠٠٠ نفس هذا عدا الذين لم يبلغ امرهم رجال الحكومة. ولا شبهة ان النعمة تجلب البطر والعناية بالحياة قليلة في كل الاعمال باميركا على ما يظهر فقد قتل في سكك الحديد ٩٧٣٧٣ نفساً بين سنة ١٨٩٧ و ١٩٠٧ وجرح ٧٤٩٥٩٢ نفساً وقتل في المعادن ٢٥٩٦٥ نفساً بين سنة ١٨٩٠ و ١٩٠٧ وقتل في مناجم الفحم الحجري وحدها ٣١٢٥ نفساً سنة ١٩٠٧ وجرج ٥٣١٥ ويبلغ الذين يصابون بآفات مختلفة من المعدنين في اميركا نحو ٣٥ من عشرة آلاف وهم في فرنسا ثمانية من كل عشرة آلاف وفي انكلترا ١٢ وفي المانيا ١٣ وفي بلجيكا ٩ ومع ذلك يقال ان الولايات المتحدة الاميركية ناجحة اكثر من كل ممالك الارض

خسارة البلاد من السل

قدَّر بعضهم ان داء السل يقتل كل سنة مئتي الف نفس من سكان اميركا فاذا كانت قيمة عمل كل منهم ٣٣٠ جنيهاً في السنة فخسارة البلاد بموتهم ٦٦ مليوناً من الجنيهات

فهرس الجزء السادس من المجلد الرابع والثلاثين

٥٢١ السلطان عبد الحميد
٥٢٧ بلاد الفرس ومستقبلها
٥٢٩ الغزالي . لمحمد افندي الخضري
٥٣٧ معجم الحيوان . للدكتور امين المعلوف (مصوَّرة)
٥٤٢ المعادن وما يستخرج منها
٥٤٨ الاحسان . لنقولا افندي رزق الله
٥٤٩ نشوء الحيوان والنبات . لانيس افندي الياس الخوري (مصوَّرة)
٥٥٩ الفضائل . لنجيب افندي شقرا
٥٦٥ عبد الحميد في نظر الطب . للدكتور شبلي شميل
٥٧٠ نيتشه وابن الانسان . لسلامه افندي موسى
٥٧٤ الثورة الادبية . لامين افندي ريحاني

٥١٨ باب المراسلة والمناظرة * ميكروبات الامراض والمناعة . الشفاهي والشفهي . البلاد العربية وداع وعتاب
٥٨٨ باب الزراعة * الزراعة المصرية منذ مئة عام . مزايا القطن المصري وعيوبهُ . حقائق في زراعة القطن . خناق القطن
٥٩٥ باب تدبير المنزل * آداب دعوات العصر . حفظ الشعر وتقويتهُ . الفاكهة في الصيف
٥٩٩ باب التقريظ والانتقاد * اعظم تذكار للعثمانيين الاحرار . ديوان رستم . معجم الادباء لياقوت الحموي . شرح المعلقات . درس الهندسة للسنة الثانية الثانوية . ترجمة الفس وليم هرفي
٦٠٤ باب المسائل * عقاب الطبيب والمحامي . مذهب دارون واطفال الناس . قوة الدولة الحربية . صور السماء . اسماء صور السماء . اصل الحياة . عدد الاقباط . باكرصبوحكري العراق . رواية التعساء . الخوف . المطر والبحر . الفضيلة والرذيلة . اعلان الدستور العثماني . مشابهة العربية الانكليزية . عدد العناصر . القوة المغنطيسية . القوة المغنطيسية في الارض . اسماء المدن والقرى
٦١٠ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٨ نبذة